سلسلة تصحيح المفاهيم (٦)

الاستثناء فى الايمان بين أساطير بعض التابعين واختراعات المُقلدين لهم من الاخرين

(أنا مؤمن إن شاء الله)

إعداد / على بن شعبان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } .

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً } أما بعد يقول النبى ﷺ " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ... " الحديث .

وبالفعل هاهى الامور التى نُنكرها بالدليل كثيرة جداً ولكن أذا أراد المسلم أن يُنكر ويُبيين وجد ما يُسمى بـــ (أدعياء السلفية) أو (المُقدسون والمقلدون للعلماء) أو (أهل التعالم) يقفون أمام الدليل ويردوه ولا يأخذوا به بحجة أن بعض العلماء (من بعد الصحابة) فعلوه أو قالوه أو أقروه وكأن العلماء (من بعد الصحابة) (حجر صحى على الدليل) ونحن الان أما مسئلة نُقل فيها اتفاق الصحابة على تركها والعمل بخلافها ، ثم صار إجماعاً بعد ذلك ، أقول اتفاق أولاً وليس إجماع لان هذا الاجماع السكوتى مع وجود المُقتضى لفعله ، وانتفاء المانع من عدم فعله ، لان الصحابى عبد الله بن مسعود قد خالف فى ذلك أى فى الاستثناء فى الايمان ، ثم رجع عن تلك المسألة وتاب منها واستغفر الله على يد احد التابعين فصار إجماع للصحابة برجوع عبد الله بن مسعود فكيف لاحد مهما كان علو شأنه أن يرد على الصحابة إجماعهم كائناً من كان !! ، وسوف يجد القارىء بفضل الله كل شىء يشغل باله ويدور فى عقله وخاطره حول الاستثناء ، يجد بفضل الله بيان شافى يُنير له الطريق ويوضح له كل إشكال ، والله الرحمن المُستعان على الامور واني لارجو كل من يقرا هذه الرسالة الا يُسارع فى الرد لمجرد أن الكلام لا يُعجبه أو انه شذوذ عن بعض المشهورين من العلماء (كأمثال الامام أحمد رأس المذهب الحنبلى وغيره) فالحق لا يُعرف بالرجال ولكن الرجال يُعرفون بالحق والامام أحمد ليس هو الحق ولا غيره من العلماء ولكن الحق هو ما جاء فى الكتاب والسنة وأجمعت عليه الصحابة ، فان كان عندنا نص من هولاء الثلاثة لم يُنظر الى من بعدهم ولو أجمعوا ، وأتحدى أن يأتينى أحد بمسئلة ليست فى هولاء الثلاثة ثبتت فى دين الله ، فكيف وقد اختلفوا من بعد الصحابة فى هذه المسئلة (الاستثناء فى الايمان)

ودعونا قبل أن نشرع فى البحث أن نتفق أولاً على عدة اصول سوف نمضى عليها فى بحثنا هذا ، فمن المعلوم أن

" إتباع الاصول أقرب طريق للوصول " " ومن حُرم الاصول حُرم الوصول "

الاصل الاول :- أن ما كان عليه النبى والصحابة من الدين هو النجاة ، وهولاء هم (الصدر الاول وهم الفرقة الناجية)

الاصل الثانى :- أن إجماع الصحابة حُجة وهو المصدر الثانى من مصادر التشريع وهم أعلم الناس بالنصوص وفهمها

الاصل الثالث :- أن وجود المُقتضى للفعل مع انتفاء المانع من الفعل من النبى والصحابة سنة يجب اتباعها (السنة التركية)

الاصل الرابع :- أن اصول التفسير (تفسير القران بالقران ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم اللغة العربية) ولن نعدم بعد هولاء الاربعة أى تفسير

الاصل الخامس :– الاصل فى الكلام الحقيقة (دلالة المُطابقة = الوضع) وليس المجاز (الاستعمال) الا اذا جاء صارف فيُحمل الكلام على ما دل عليه فالتاؤيل بغير دليل تحريف للكلم عن مواضعه

الاصل السادس :– العلم " قال الله قال رسوله قال الصحابة " وما عدا ذلك فليس بعلم وليس بدين وليس بحُجة

لآن (العـــلـــمــــــاء يُـــستـــدلُ عـــلـــى كـــلامـــهـــم ولا يُـــستـــدل بكـــلامـــهـم)

وعملى فى هذا البحث هو :–

١– الادلة المُحكمة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة على عدم الاستثناء فى اليقين سواء كان هذا اليقين (ماضى – حاضر – مُستقبل)

٢– الادلة من اللغة العربية وكلام أهل اللغة على بدعية الاستثاء على اليقين أو الاستثناء فى الايمان من ناحية اللغة .

٣– الرد على الشبهات التى استدل بها من أجاز الاستثناء فى اليقين ، وتبيين الاشكالات التى أوقعتهم فى تلك البدعة

٤– تبيين المفاهيم المقلوبة والمغلوطة لمُصطلحات الشريعة من بعض العلماء والتى أوقعتهم فى بدع باب الايمان ومنها بدعة الاستثناء فى الايمان

٥– تبيين التناقضات التى قالوا بها ، وإلزامهم بأقوالهم وإمتناعهم وعجزهم من الرد عليها

٦– اختلاف العلماء القائلين بالاستثناء فى الايمان على عدة أقوال ، والتخبط فى الجمع بين النصوص

٧– عزو أسماء السور فى القران برقم الايات وعزو الاحاديث الى مصدرها بارقامها والحُكم عليها بالصحة إن كانت صحيحة وبالضعف إن كانت ضعيفة وبيان سبب الضعف فى الحديث وهذا كله من كلام المُحققين الاثبات من المُحدثين

٨– إحالة القارى على طبعة اى كتاب نستشهد به فى البحث حتى يتم له التثبت من النقل ومدى مُطابقته للاصل

أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ليس لأحد فيه حظ ولا نصيب .. إنه سميع مُجيب ..

ولا تنس أخى الحبيب أن تُفيدنا بتصويباتك ومُقترحاتك ، وبالنقد العلمى البناء

فإن هذا العمل جُهد بشرى ، وقد أبى الله أن يجعل العصمة إلا لكتابه .. ولا تنسوا من قام بهذا العمل من دُعائكم ..

ناشدتُك الله ياقارئاً أن تسأل الغُفران للكاتب ********* ما دعوة أنفعُ ياصاحبى من دعوة الغائب للغائب

فَأُهيب بكل من يعثر على خطأ أن يُصلحه ، ويُبين لى خطئى بالدليل ، وإننى أُقدم الاعتذار عن كلمة لم أعنها ، أو خانني التعبير ولم أرم إليها وآسف عما شط به القلم ، راجياً أن يكون ما كتبته نقدا علميا بعيدا عن الاساءة نائيا عنها (والعلم قال الله قال رسوله قال الصحابة) ، واعلموا أن الخَطأ والزلل هُمَا الغالبانِ على من خَلَقَ الله من عجل ، فلستُ أدعى لنفسى العصمة والفهمَ الصحيح السليم المُنقى من الاخطاء والزلات معاذ الله :

لَقَدْ مَضَيْتُ خَلْفَ الرَّكْبِ ذَا عَرَجٍ ****** مُؤَمَّلاً جَبْرَ مَا لاقَيْتُ مِنْ عِرَجِ

فَإِنْ لَحِقْتُ بِهِمْ مِنْ بَعدِ مَا سَبَقُوا ****** فَكَمْ لِرَب الوَّرَى فِي النَّاسِ مِنْ فَرجِ

وَإِنْ ضَلَلْتُ بقَفْرِ الأَرضِ مُنْقَطِعًا ****** فَمَا عَلَى أَعْرَجٍ فِي النَّاسِ مِنْ حَرَجِ

وكتبه أخوكم / على بن شعبان ، مدينة القنطرة شرق ، محافظة الاسماعيلية

Email : ALISHNB2007@yahoo.com

https://www.facebook.com/moslm2007

المطلب الاول

الاستثناء وأحكامه فى اللغة العربية

أولاً : – الاستثناء لغة : الاستثناء إخراج بعض الجملة عن الجملة بلفظ إلا أو ما أُقيم مقامه . اهـــ (١)

ومثال ذلك : نحو : نجح الطلاب إلا طالباً ، فطالباً هو المُستثنى أُخْرِج من حكم النّجاح .

ثانياً :– أركان الاستثناء ثلاثة :–

١– الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ

٢– أداةُ الاستثناء

٣– الْمُسْتَثْنَى

وتوضيحها كما يلى : نَجَحَ الطُّلاب إِلاَّ طَالباً .

المُستثنى منه : الطُّلاب

أداة الاستثناء : إِلاَّ

المُستثنى : طَالباً

الجملة الإستثنائية

الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ — الْمُسْتَثْنَى — أداةُ الاستثناء

الطلاب — الطالب — إلا

ثالثاً :– أنواع الاستثناء :–

الاستثناء ثلاثة أنواع هى :

١– اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ ٢– استثناءٌ مُنْقَطِعٌ ٣– استثناءٌ مُفَرَّغٌ

فالاستثناءُ الْمُتَّصِلُ : هو ما كان فيه المُستثنى بعضاً من المُستثنى منه (أى : واحداً منه ، أو جزءاً من أجزائه) .

وللاستثناء المتصل حالتان ، هما :

أ– أن يكون تامًّا موجباً

والمراد بالتام : ما ذُكِر فيه المُستثنى منه

والمراد بالموجب : ماخلا من النّفى ، أو شِبْهه والمراد بشبه النّفى : النَّهى ، والاستفهام .

مثاله : نجح الطلاب إلا طالباً .

فالاستثناء في هذه الجملة متّصل تام موجب ، مُتَّصِلٌ ؛ لأن المُستثنى (الطالب) واحد من الطلاب ومن جِنْسِهم .

وتَامٌّ لأن المستثنى منه (الطلاب) مذكور ، ومُوجَبٌ لأن الجملة لم تُسبق بنفي ، أو نهي ، أو استفهام .

---

(١) المحصول فى علم الأصول ٣ / ٣٩ لــ فخر الدين الرازى ، ط / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض

ب- أن يكون تامّاً غير موجب

مثاله : ما نجح الطلابُ إلا طالبا ، فالاستثناء في هذه الجملة متّصل تام غير موجب

فهو غير موجب لأن الجملة منفيَّة بحرف النفي (ما) وكذلك يكون الاستثناء غير موجب في قولك : هل نجح الطلاب إلا طالباً ؟ وفي قولك : لا تسألْ أحداً إلا حامداً ، لأن الاستفهام والنّهي شبيهان بالنّفي .

٢- الاستثناء المُنْقَطِعٌ

أما الاستثناء المُنقطع فهو : ما لم يكن فيه المُستثنى بعضاً من المُستثنى منه .

وله حالتان أيضاً :

أ- أن يكون تاماً موجباً

مثاله : سافر الطلاب إلا المُدرسين .

فالاستثناء هنا مُنقطع ؛ لأن المُستثنى (المُدرسين) ليسوا من المُستثنى منه (الطلاب)

وهو تامّ لوجود المُستثنى منه (الطلاب)

وموجب لخلوِّه من النَّفي وشِبهه .

ب- أن يكون تامّاً غير موجب

مثاله : ما سافر الطلاب إلا المدرسين .

ونحو : هل سافر الطلابُ إلا المدرسين .

فالاستثناء فى الجملة الاولى والثانية مُنقطع تام غير موجب

فالاستثناء هنا مُنقطع لأن المُستثنى (المُدرسين) ليسوا من المُستثنى منه (الطلاب)

وهو تامّ لوجود المُستثنى منه (الطلاب)

وغير موجب لأن الجملة منفيَّة بحرف النفى (ما) أو ما شابهه كالاستفهام

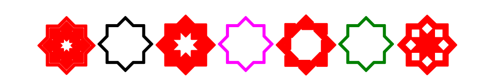
٣- استثناءٌ مُفَرَّغٌ

وأمَّا الاستثناء الْمُفَرَّغ : فهو ما لم يُذكر فيه المُستثنى منه

ومثاله أن يكون الكلام فيه غير موجب ، نحو : ما جاء إلا حامدٌ .

ونحو قولك : هل جاء إلا حامدٌ ، ولا تسألْ إلا حامداً .

فالاستثناء هنا مُفَرَّغ لأن المستثنى منه غير مذكور (ولا بدَّ أَنْ يكون غير موجب)



رابعاً :- أدوات الاستثناء

أدوات الاستثناء : هى الادوات التى تُستعمل فى الاستثناء وتنقسم الى قسمين : -

١ - أدوات أصلية للاستثناء ومنها ما هو مُتفق عليه كـــ " الا " ، ومنها ما هو خلاف ، وهم تسعة بالْمُختلف فيهم :

أدوات الاستثناء الاصلية : (إلا ، غير ، سوى ، خلا ، عدا ، حاشا ، ليس ، لا يكون ، بيد) .

٢ - أدوات غير أصلية تقوم مقام الاستثناء : مثل بعض جمل التخصيص كـــ (ان شاء الله) على سبيل المثال

" الشَّرْطَ يَعُودُ إِلَى الْكُلِّ نَحْوَ: نِسَائِي طَوَالِقُ وَعَبِيدِي أَحْرَارٌ إِنْ كَلَّمْتُ زَيْدًا ؛ فَكَذَلِكَ الِاسْتِثْنَاءُ بِجَامِعِ افْتِقَارِهِمَا إِلَى مُتَعَلِّقٍ ، وَلِهَذَا يُسَمَّى التَّعْلِيقُ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى اسْتِثْنَاءً " . اهـــ (١)

" الاستثناء والشرط متحدان فى كونهما محتاجين ومفتقرين إلى متعلق ، أي جملة سابقة ؛ ولهذا سُمى التعليق بمشيئة الله استثناء لوجود التعليق " . اهـــ (٢)

قال الراغب الاصفهانى : الاستثناء رفع ما يوجبه عموم سابق كما في قوله : قل لا أجد فيما أوحى إلَيّ محرّماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو رفع ما يوجبه اللفظ كقوله : امرأته طالق إن شاء الله . اهـــ (٣)

قلت (على بن شعبان) : ان قلت : " زوجاتى طوالق إذا خرجن من المترل " ، فإذا خرجت إحداهن فإنه يقع الطلاق على من خرجت بخلاف من لم تخرج ، والسؤال : لماذا خصصنا غير الخارجات ؟ الجواب : لوجود الشرط .

فحصل بتعليق المشيئة هنا استثناء غير الخارجات من الطلاق ، ولهذا كان من الفاظ الاستثناء (ان شاء الله) على سبيل الاستعمال لا على سبيل الحقيقة ، أى تقوم مقام الاستثناء ، لان الاصل فى الاستثناء أن يكون بـــ (الا واخواها)

كلمة : " إِن شَاء اللَّهُ " تسمى استثناء لصرفها الكلام عن الجمع ، وعن الثبوت فى الحال من حيث التعليق على ما لا يعلمه إلا الله، وآخر الأبد كناية عن المبالغة فى التأبيد والمعنى إلا الأبد الذى هو آخر الأوقات، وليس إطلاق الاستثناء على إن شاء الله ، لأنه ورد فى " الحديث " وفى القرآن فى قوله تعالى : { إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ } القلم ١٧ ، قال فى الكشاف : ولا يقولون { إِن شَاء اللَّهُ } فإن قلت لم سمى استثناء وإنما هو شرط ، قلت لأنه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث إنّ معنى قولك لأخرجت إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد . اهـــ (٤)

قال العسكرى فى الفروق اللغوية : قرينة تقوم مقام الاستثناء كقولك : لزيد فى كل شئ يد . اهـــ (٥)

أى أن المعنى : " ما من شيء الا ولزيد فيه يد "

---

(١) شرح مختصر الروضة فى اصول الفقه ص ٥٦

(٢) شرح مختصر الروضة فى اصول الفقه ص ٥٦

(٣) المفردات فى غريب القرآن ١ / ١٧٩ للراغب الأصفهانى ، ط / دار القلم ، الدار الشامية - بيروت

(٤) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِى ٢ / ١٨٠ للشهاب الفخرانى ، ط / دار صادر - بيروت

(٥) معجم الفروق اللغوية ١ / ١٤٣ ، لـــ أبو هلال الحسن العسكرى ، ط / دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر

الاستثناء يطلق على التقييد بالشرط فى اللغة والاستعمال كما نص عليه السيرافيّ في شرح الكتاب
قال الراغب : الاستثناء رفع ما يوجبه عموم سابق كما في قوله : قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرّماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو رفع ما يوجبه اللفظ كقوله : امرأته طالق إن شاء الله ، وفي الحديث من حلف على شيء فقال: إن شاء الله فقد استثنى فما قيل إن كلمة إن شاء الله تسمى استثناء لأنه عبر عنها هنا بقوله: إلا أن يشاء الله ليس بسديد، وكذا ما قيل إنها أشبهت الاستثناء في التخصيص فأطلق عليها اسمه . اهـــ (١)

وأصل الاستثناء استفعال من الثنى وهو التكرار أو الرجوع ، ثم أطلق على إخراج بعض ما دخل فى عموم ما قبله سواء كان بألا وأخواتها أو لا كالتقييد بالشرط ، وتخصيصه بالأوّل اصطلاح ، فليس المراد أنّ إطلاقه على إن شاء الله ونحوه .... الى ان قال : إذا قلت قام القوم إلا زيداً فالمخرج قيام زيد وهو مذكور لدخوله فيما قبله ، وإذا قلت افعل كذا أو لا أفعله إن شاء الله فالمعنى إن شاء الله فعله أو عدمه لأنّ مفعول المشيئة مصدر متصيد مما قبله والمقصود إخراج ما لم يشأه الله . اهـــ (٢)

الاستثناء العرفى : هو حقيقة عرفية تُطلق على (إن شاء الله) وإن كان مجازا فى الاصل ، لانه شرط . اهـــ (٣)

فالحاصل أن الاستثناء له حقيقة وضعية وهى التى تُستخدم فيها أدوات الاستثناء الاصلية
وللاستثناء صور اُخرى (استعمال ، حقيقة ثانوية ، مجاز) وتكون بغير أدواته الاصلية ، وتكون بادوات تقوم مقام ادوات الاستثناء مثل التقييد بالشرط كـــ (ان شاء الله)

ولم يأتى فى اللغة أبداً الاستثناء أو تعليق المشيئة على أمر غيبى مُستقبلى يقينى ، فكيف بمن يُعلق المشيئة على حاضر يقينى يعلم أنه مُتحقق فيه ؟ !!!

وبما أن القران جمع كل أساليب وفنون الكلام من اللغة العربية التى كانت عند جميع العرب فقد بحثت فى كل الجُمل الشرطية التى جاءت فى القران فلم أجد قط موضع ذكر الله فيه جملة شرطية على الماضى أو الحاضر ، بل لا تُذكر الا للمستقبل فقط أو للغيب وأيضاً لا تجد فى السنة جملة شرطية على الماضى والحاضر ، بل لا تُذكر الا للمستقبل فقط أو للغيب ، وعلى جهلى بالشعر الجاهلى فلم أجد فى حدود علمى البسيط والضئيل جداً باللغة أو بالشعر الجاهلى جملة شرطية للماضى أو للحاضر أو للمسُتقبل الغيبى اليقينى ، فلم يأتى ذلك فى القران ولا فى السنة ولا عند العرب

والبينة على من ادعى ، وإلا فليئتونا باية أو حديث أو كلام للصحابة أو كلام قديم للعرب كالشعر الجاهلى فيه جملة شرطية للماضى أو الحاضر ، أو ائتونا بشيء عندنا فيه يقين وتم فيه تعليق المشيئة ، وسوف أتيء بأدلة من جوز ذلك وتبيين أنها أدلة لا تصلح للاستدلال بها ، وتبيين سبب الفهم الخاطئ لاستشهادهم بتلك النصوص

والله أسأل أن يُعيننى ويجعلنى سبب فى إماتة تلك البدعة الحادثة بعد النبى والصحابة (بدعة الاستثناء على اليقين)

---

(١) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفسْيرِ البَيضَاوِى ٦ / ٨٩ للشهاب الفخرانى ، ط / دار صادر – بيروت
(٢) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفسْيرِ البَيضَاوِى ٨ / ٢٢٨ للشهاب الفخرانى ، ط / دار صادر – بيروت
(٣) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ١ / ٥٣ لـــ سعدى أبو جيب ، ط / دار الفكر دمشق – سورية

المطلب الثانى

الاستثناء فى الشريعة الاسلامية وأحكامه

الاستثناء فى الشريعة وأحكامه هو هو نفس الاستثناء فى اللغة ونفس أحكامه ولا زيادة ولا اختلاف

الاستثناء فى الشرع : هو اخراج العض من الكل ، وهذا هو تعريف الاستثناء على المعنى الوضعى
وأما الاستثناء على سبيل الاستعمال : وهو تعليق المشيئة على غيب مُستقبلى غير يقينى ، وحكمه " الوجوب "

قال الله ﷻ (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا () إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) الكهف ٢٣ ، ٢٤

وليس لهذا الامر صارف عن الوجوب والخطاب له ﷺ ولامته من بعده

والله ﷻ لم يامرنا بتعليق المشيئة على الماضى أو الحاضر كما يزعم من احدث بدعة الاستثناء على اليقين ولم يامرنا الله بتعليق المشيئة على الغيب اليقينى المُستقبلى ، ولكن الله أمرنا بتعليق المشيئة على الغيب المُستقبلى غير اليقينى

وكل من اطلع على كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ وكلام الصحابة ﷺ لم يجد تلك البدعة المُحدثة أى الاستثناء على اليقين كقولهم " أنا مؤمن ان شاء الله "

١ – الاستثناء فى القران الكريم

وهذا هو استثناء الخليل ابراهيم عليه السلام

قال الله ﷻ (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) الانعام ٨٠

فاستثنى على الغيب المُستقبلى الغير يقينى لان ذلك أمر اختص الله به أى علم الغيب

قال الله ﷻ عنهم (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) الاعراف ٨٩

فاستثنوا على الغيب المُستقبلى الغير يقينى لان ذلك أمر اختص الله به أى علم الغيب

فهولاء الانبياء وغيرهم علموا أن كل شىء مُتعلق بمشيئة الله فطبقوا ذلك واقعاً عملياً لقول الله ﷻ (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) الانسان ٣٠

ولم يأتى فى القران فلم يأتى القران بشىء فى اللغة لم يكن عند العرب ولم يأتى القران بشىء ليس فى لغة العرب أبداً

وأما استدلالهم ببعض الشبهات من القران أن الله علق المشيئة على امور يقينية مثل قوله " لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنيين " فهذه وغيرها سياتى بيانها فى المطلب السادس

٢ – الاستثناء فى السنة النبوية الصحيحة

وسانقل لكم تعريف النبى مُحمد بنفسه للاستثناء فى الشريعة وإليكم بيان ذلك بالدليل :

أخرج البخارى من حديث أبي هريرة قال قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي ، أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللَّهُ " . (١)

والنبى ﷺ يقصد هذه الاية (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) الزمر ٦٨

فجعل النبى ﷺ الاصل أن كل الناس يُصعقون الا من شاء الله موافقاً بذلك نص الاية الظاهر ، فجعل النبى الاستثناء هو إخراج البعض من الكل كما هو تعريف الاستثناء فى اللغة ، فهذا هو الاستثناء الذى أراده الله ورسوله وهو ظاهر جداً من منطوق الاية ، فجعل الله الاستثناء هنا هو إخراج البعض من الكل كما هو تعريف الاستثناء فى اللغة فلم يختلف الاستثناء فى اللغة عن أحكام الاستثناء فى السنة لا فى تعريف ولا زيادة على التعريف كما يحدث أحيانا

وقد جاء عن النبى تعليق المشيئة على الغيب المُستقبلى الغير يقينى فقط ، ولم يأت عن النبى تعليق المشيئة الماضى والحاضر والغيب المُستقبلى اليقينى ، وقد استدل من أجاز بدعة الاستثناء على اليقين بأحاديث فهموها على غير ما أراد الله ورسوله

وقد جاء عن النبى الاستثناء على سبيل الاستعمال كما فى حديث سليمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ " أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ لَهُ سِتُّونَ امْرَأَةً ، فَقَالَ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى نِسَائِي ، فَلْتَحْمِلْنَ كُلُّ امْرَأَةٍ وَلْتَلِدْنَ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَلَدَتْ شِقَّ غُلَامٍ ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ : لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَثْنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ ، فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " . (٢)

وهذا الاستثناء الذى يقصده النبى بين صيغته فى رواية اخرى عند البخارى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " قَالَ سُلَيْمَانُ : لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : قُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَلَمْ يَقُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ ، وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ قَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ " . (٣)

فجعل النبى جملة (ان شاء الله) الشرطية استثناء وقامت مقام أدوات الاستثناء ، وسماها بذلك بدون أى اضافة أو زيادة ، فجملة (ان شاء الله) تاتى بمعنى الاستثناء على سبيل الاستعمال لا على سبيل الحقيقة الاولية

---

(١) البخارى ٢٤١١

(٢) البخارى ٧٤٦٩

(٣) البخارى ٦٦٣٩ مسلم ١٦٥٦

وتكرر الامر بوضوح فى الحديث الذى أخرجه الترمذى وغيره قال : حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، حَدَّثَنِي أَبِي وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَقَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَدِ اسْتَثْنَى ، فَلَا حِنْثَ عَلَيْهِ " . (١)

فجعل النبى جملة (ان شاء الله) الشرطية استثناء وسماها بذلك بدون أى اضافة أو زيادة

فجملة (ان شاء الله) تاتى بمعنى الاستثناء على سبيل الاستعمال (أى الحقيقة الثانوية) لا على سبيل الحقيقة الاولية

فالاصل فى الاستثناء أن يكون بادوات الاستثناء وهى : الا وأخواتها

وياتى الاستثناء أحياناً بغير أدوات الاستثناء ، أى على سبيل الاستعمال ، وذلك يكون بامور تقوم مقام الاستثناء

٣ – الاستثناء عند الصحابة رضوان الله عليهم

وأما عن الصحابة الكرام

فقد جاء عند البخارى من حديث أنس أن ابا بكر كتب له كتاب لما وجهه الى البحرين وجاء فيه :

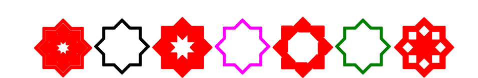
(مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِلَّا أَرْبَعٌ مِنَ الْإِبِلِ فَلَيْسَ فِيهَا صَدَقَةٌ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبُّهَا) . (٢)

ويشاء ربها اى رب الابل اى سيد الابل وصاحبها أى (المُتصدق)

ولم يأت عن أى أحد من الصحابة أنهم علقوا المشيئة على الماضى أو الحاضر أو المُستقبل الغيبى اليقينى

اولئك أبائى فجئنى بمثلهم ، فهذا هو سلفنا فى الاستثناء وسلفنا فى تعليق المشيئة من الانبياء والصحابة فهذا سبيلهم وهديهم ، فهل نأخذ بطريقتهم وهديهم ؟ !!! أم نأخذ بهدى من بعدهم من بعض تابعى التابعين ؟ !!! نأخذ بالمنطوق والمفهوم المُحكم ؟ !!! أم نأخذ بالمفهوم الضعيف المرجوح ؟ !!!

وبقى أن نُبين شبهات القوم وهى أدلة البناء التى استندوا فيها إلى أيات وأحاديث ، والله المُستعان .



---

(١) سنن الترمذى ١٥٣١ وصححه الالبانى

(٢) البخارى ١٤٥٤

المطلب الثالث

متى ظهرت بدعة الاستثناء فى الايمان وما سبب ظهورها

ليعلم الجميع أن النبى محمد ﷺ وأصحابه الكرام جميعاً ﭫ لم يتلفظوا بتلك الجملة البدعية ألا وهى (أنا مؤمن ان شاء الله) ولكن هذه الكلمة أُحدثت بعد النبى وبعد الصحابة وكبار التابعين ، والبينة على من ادعى ، فلو أتانا أحد بسند واحد صحيح عنهم قال (أنا مؤمن ان شاء الله) لقُضى الامر ، ولكن هذا لم يحدث ، وكيف يحدث هذا الامر الذى يصطدم بتعاليم الاسلام وباللغة العربية ، أى الاستثناء على اليقين ولكن مازال السؤال قائم ، من أحدث هذه البدعة أى قول (أنا مؤمن ان شاء الله) والاستثناء على اليقين ؟ ومتى ظهرت وما سبب ظهور هذه البدعة ؟

١ – سبب ظهور بدعة الاستثناء فى الايمان

" وهم يرون أن السؤال : (هل أنت مؤمن ؟) بدعة أحدثها أهل البدع من الُمرجئة ؛ ليحتجوا بها على قولهم فى الإيمان : إنه التصديق ، وان العمل ليس من الإيمان ؛ خلافاً لعقيدة السلف الصالح . اهـ (١)

فسبب ظهور بدعة الاستثناء فى الايمان هو الرد على مُرجئة الفقهاء ، لان مُرجئة الفقهاء أخرجوا العمل من الايمان لفظاً وحكماً ، وبناء عليه نفوا الزيادة والنقصان فى الايمان ، لانهم كانوا يقولون أن الايمان شيء واحد لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص وهو التصديق أى (أعمال القلب فقط ومعه قول اللسان) وهنا ظهرت هذه البدعة أى (الاستثناء فى الايمان) فعندما ظهر هذا الخلاف فى قضية الايمان وهل العمل من الايمان أم لا ، أى موقع عمل الجوارح من الايمان ، بدأ مُرجئة الفقهاء يسئلون من يقول بالزيادة والنقصان أسئلة يريدون بها إلزامه كـــ هل أنت مؤمن ؟ !!!

فان أجاب : نعم أنا مؤمن

قالت مُرجئة الفقهاء : أين الزيادة والنقصان ، فأنا مؤمن وأنت مؤمن يعنى بغير عمل وحملت الاسم " يعنى مؤمن " بغير عمل بمجرد القول ، فرد عليهم أهل العلم ممن عاصر مُرجئة الفقهاء فى محاولة للجواب عن هذه البدعة ولكن للاسف ببدعة اُخرى ، فردوا على بدعة الارجاء ببدعة اُخرى تُخالف اللغة وصريح الكتاب والسنة وأقوال الصحابة

فأهل العلم الذين أحدثوا هذه البدعة ونشروها بين الناس بدلاً من أن يستدلوا ثم يعتقدوا كما تعلمنا منهم ، لم يفعلوا ذلك ، بل اعتقدوا الامر وتلفظوا بالقول ، ثم لما طالبهم الناس بالدليل راحوا يستدلون بأدلة كثيرة وضعوها فى غير موضعها وفهموها على خلاف ما أراد الله ورسوله وخلاف فهم الصحابة ، وإليكم بيان الامر .

فالحاصل أن الاستثناء عندهم يقع على عمل الجوارح وقد نُقل ذلك عنهم بالاسانيد الصحيحة اليهم
حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء قال حدثنا أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الحسن بن شهاب قال حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم قال سمعت أبا عبد الله (احمد بن حنبل) سُئل عن الاستثناء إذا كان يقول : الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، فاستثنى مخافة واحتياطا ليس كما يقولون على الشك إنما يُستثنى للعمل " . اهـ (٢)

---

(١) الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة ٤٧ لـــ عبد الله بن عبد الحميد الأثرى

(٢) الابانة لابن بطة ١١٩٣

وقيل لأبي عبد الله (احمد بن حنبل) : فأنت أي شيء تقول ؟ فقال : نحن نذهب إلى الاستثناء ، قلت لأبي عبد الله : فأما إذا قال : أنا مسلم فلا يستثنى ؟ فقال : لا يستثنى إذا قال : أنا مسلم ، قال الزهرى : نرى الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل . اهــ (١)

فقد كان السبب فى الاستثناء وظهوره هو الرد على المُرجئة واثبات دخول العمل فى الايمان ، فقد كان القصد حسن ولكن التعبير والمضمون كان خطأ يصطدم باللغة والشرع ، والقاعدة أن (النية الصالحة لا تصلح العمل الفاسد)

٢ – أول من قال بالاستثناء

أول من قال بهذه البدعة (الاستثناء فى الايمان = أنا مؤمن إن شاء الله) :
أول من قال بهذه البدعة من أهل العلم ، هو رأس المذهب الحنبلى الامام المُبجل أحمد بن حنبل رحمه الله
ولا يفهم أحد من كلامى أن لازم ذلك عندى هو تبديع الامام أحمد بن حنبل كلا كلا ، فـــ لازم القول ليس بقول ولازم الفعل ليس بفعل ، بل الامام أحمد من أئمة أهل السنة الكرام الذين خدموا الدين وأفنوا أعمارهم لإعلاء الدين

ونقلنا فى ما مضى أن مُرجئة الفقهاء قالت : أين الزيادة والنقصان ، فأنا مؤمن وأنت مؤمن يعنى بغير عمل وحملت الاسم " يعنى مؤمن " بغير عمل بمجرد القول

فرد عليهم الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره ممن عاصر مُرجئة الفقهاء فى محاولة للجواب عن هذه البدعة ولكن للاسف ببدعة اُخرى وهذا مثال بيانى على ذلك :

سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن الإيمان ؟ فقال : (قول وعمل ونية) قيل له : فإذا قال الرجل : مؤمن أنت ؟ قال : هذه بدعة ، قيل له : فما يرد عليه ؟ قال : (يقول : مؤمن إن شاء الله ؛ إلا أن يستثنى فى هذا الموضع) . اهــ (٢)

وقال فى موضع أخر " أذهب إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء فى الإيمان ؛ لأن الإيمان قول وعمل ، والعمل الفعل ، فقد جئنا بالقول ، ونخشى أن نكون قد فرطنا فى العمل ؛ فيعجبنى أن نستثنى فى الإيمان ، نقول : أنا مؤمن إن شاء الله " . اهــ (٣)

فالبدعة الاولى هى سؤال الرجل أمومن أنت ؟
فردوا على هذا السؤال البدعى ببدعة اُخرى وهى الجواب بــ (أنا مؤمن ان شاء الله) .

وهم أرادوا بذلك الجواب أن يُبينوا أن الايمان يزيد وينقص وأنه ليس شيء واحد ، بل الناس يتفاضلون فيه والعمل أى عمل الجوارح من الايمان وليس خارج عنه ، ولكنهم أخطئوا فى التعبير بالالفاظ واستخدام المُصطلحات المُحدثة التى لم تثبت فى الشرع ، أو تغيير مدلولات المُصطلحات الشرعية ، وبيان ذلك بالتفصيل فى المطلب الرابع باذن الله

---

(١) الابانة لابن بطة ١١٩٥
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة لــ اللالكائى ٥/١٠٥٧ برقم ١٧٩٨
(٣) السنة لــ الإمام الخلال ٣ / ٦٠٠ برقم ١٥٦

المطلب الرابع

أسباب الوقوع فى بدعة الاستثناء فى الايمان

السبب الاول :- الفهم الخاطىء والمقلوب للمُصطلحات الشرعية التى وردت عن الايمان والاسلام وغيرها
السبب الثانى :- اضطرابهم فى سبب الاستثناء فى الايمان

كان هذا إجمال وإليكم البيان والتفصيل :-

السبب الاول :- الفهم الخاطىء والمقلوب للمُصطلحات الشرعية التى وردت عن الايمان والاسلام وغيرها

فمن أسباب زلات كثير من أهل العلم فى كثير من المُحدثات فى باب الايمان هو استخدام مُصطلحات غير شرعية ، أو تفسير مدلولات المُصطلحات الشرعية على غير ما جاءت به الشريعة ، وهذا من أهم الاسباب التى أدت إلى الفرقة والاختلاف فى باب الايمان وسنضرب أمثلة على تلك الاخطاء ونربط بينها وبين مسئلة الاستثناء فى الايمان

وهذا أوان الشروع فى الامر :

مُصطلح " الإيمان " ، مُصطلح " الإسلام " ، مُصطلح " حقيقة الايمان " ، مُصطلح " كمال الايمان " ، مُصطلح " الاصل " ، مُصطلح " الفرع "

هذه هى أهم المُصطلحات الشرعية التى بسبب تفسيرها بخلاف مدلولاتها فى الشريعة حدثت بدع كثيرة فى باب الايمان وحدثت الفرقة بين أبناء الامة الاسلامية ، وسوف أُبين بفضل الله مدلول اللفظ فى الشريعة بالدليل ، ثم بعد ذلك أُبين أوجه المُخالفة فى كلام من فسر هذه المُصطلحات بخلاف الشريعة وربط ذلك بظهور بدعة الاستثناء فى الايمان

أولاً :- مُصطلح " الإيمان " :

هو مُصطلح شرعى جاء فى الكتاب والسنة وتكلم به الصحابة رضوان الله عليهم

الإيمان لغة : التصديق قال تعالى (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) يوسف ١٧

قال ابن منظور : الإيمانُ ضدُّ الكفر والإيمان بمعنى التصديق ضدُّه التكذيب يقال آمَنَ به قومٌ وكذَّب به قومٌ ... وفي التنزيل العزيز (وما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لنا) أَي بمُصدِّقٍ والإيمانُ التصديقُ التهذيب وأَما الإيمانُ فهو مصدر آمَنَ يُؤْمِنُ إيماناً فهو مُؤْمِنٌ واتَّفق أَهلُ العلم من اللُّغَويّين وغيرهم أَن الإيمانَ معناه التصديق . اهـ (١)

الإيمان شرعاً : هو التصديق ظاهراً وباطناً باقوال وأفعال يزيد بفعل الماُمورات وينقص بفعل المنهيات .

والبعض من أهل العلم لا يعتبر التصديق الا فى القلب فقط وهذا خطأ يُخالف ما دل عليه الكتاب والسنة

---

(١) لسان العرب ١٣ / ٢١ لابن منظور الأفريقى المصرى ، ط/ دار صادر - بيروت

والدليل على هذا التعريف ما يلى :-

أما عن دليل التصديق يكون ظاهراً وباطناً فـــهو

قول الله تعالى عن تصديق الباطن : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ () الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) البقرة ٢ / ٣

وقال الله تعالى عن تصديق الظاهر : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ () وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ () فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) المرسلات ٤٧ / ٥٠

فبين بمفهوم المُخالفة أنهم لو ركعوا لكانوا بذلك مُصدقين ، والركوع من أعمال الجوارح

والدليل من السنة على أن أعمال الجوارح لها تصديق وأن التصديق يشملها قول النبى ﷺ

" زِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ " . (١)

والشاهد أن الفرج من الجوارح ومع ذلك أثبت النبى له تصديق وتكذيب .

والايمان فى الشرع جاء على معنيين :

١ – معنى عام مُطلق

٢ – معنى خاص مُقيد

أولاً : المعنى العام المُطلق لُمصطلح الايمان هو : التصديق باطناً وظاهراً وله أربعة أركان

(**قول القلب** ، **عمل القلب** ، **قول اللسان** ، **عمل الجوارح**)

وهذا المعنى هو هو دين الاسلام ، وهو هو التوحيد بشموله

ثانياً : المعنى الخاص المُقيد لُمصطلح الايمان هو : الباطن وله ركنين فقط وهما

(**قول القلب** ، **عمل القلب**)

وهذا المعنى هو الايمان فى حديث جبريل عليه السلام ، وهو هو توحيد الاثبات والمعرفة (الربوبية والاسماء والصفات)

والايمان له قسمين : –

١ – حقيقة الايمان

٢ – كمال الايمان والكمال قسمين (كمال الايمان الواجب وكمال الايمان المُستحب)

فمُصطلح الايمان عند إطلاقه له معنى وهو يشمل الاسلام معه وعند التقييد له معنى أخر ولا يشمل الاسلام معه

---

(١) البخارى ٦٢٤٣

أخطاء بعض أهل العلم فى تفسير مُصطلح الايمان :-

البعض من أهل العلم فسر الايمان على أنه هو كمال الايمان ، وجعلوا الايمان مرتبة أعلى من الاسلام ، وبناء عليه منعوا من أن يقول العبد أنا مؤمن لان الايمان على حسب زعمهم مرتبة أعلى من الاسلام ، ولا يعلم العبد هل هى مُتحققة فيه أم لا ، وهل أتى بها كما ينبغى أم لا ، وهذا خلاف الشريعة من عدة أوجه :-

١ - أن الايمان ليست مرتبة أعلى من الايمان ، بل مطلوب ممن أراد دخول الدين الاسلامى أن يأتى بـــ (الايمان والاسلام معاً ، فالايمان فى حديث جبريل من لم يأتى به أو بأى من الاركان الستة فهو كافر غير مُسلم بل من انتقص من أى ركن من الاركان الستة فى حديث جبريل فهو كافر ، فكيف يكون الايمان منزلة أعلى من الاسلام

٢ - أن الايمان والاسلام لابد منهما معاً حتى يتحقق الدين عند من أراد الدخول فيه والا فهو كافر غير مُسلم فمن أتى بالاركان الستة أى الايمان ولم يات بالشهادة والصلاة فهو كافر ، ومن أتى بالايمان ولم يأت بالشهادة أو الصلاة أو أحدهما فهو أيضاً كافر والمطلوب أن يأتى بهما معاً حتى ينتسب للدين الاسلامى

وبذلك تعلم خطأ الجملة المشهورة (كل مؤمن مُسلم وليس كل مُسلم مؤمن) فهى عبارة خاطئة لما بيناه من قبل والصحيح أن (كل مؤمن مُسلم وكل مُسلم مؤمن) فلابد أن يأتى بالاسلام والايمان معاً والا كان كافراً

فهناك فرق بين الاسلام والايمان ، ولكن ليس هناك فرق بين المؤمن والمُسلم

لان كل مؤمن أتى بالايمان والاسلام معاً ، وكل مُسلم أتى بالايمان والاسلام معاً ، ومن لم يأتى بهما معاً فهو كافر

ولذلك جعلوا الاستثناء فى الايمان فقط على اعتبار أن الايمان منزلة أعلى من الاسلام

أى أن الايمان عندهم = كمال الايمان ، وجعلوا الاسلام هو الاصل على أعتبار ان الاصل عندهم بمعنى حقيقة الايمان وهم على كل حال وبأى وجه أخطئوا وذلك بيانه كما يلى :

١ - لو قالوا نقصد بالايمان المعنى العام المطلق ، نقول لهم اخطئتم ، لان المعنى العام هو الدين كله فالاستثناء سيكون على الدين كله ، لان المعنى العام المُطلق لمصطلح الايمان يشمل الاسلام والايمان معاً ولا أحد يُخالف فى ذلك

٢ - ولو قالوا نقصد بالايمان المعنى الخاص المقيد ، نقول لهم أخطئتم ، لان المعنى الخاص المقيد هو الايمان فى حديث جبريل وهو الايمان بالاركان الستة الايمان (بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره) ، ومن انتقص عنده او انتفى شيء من هولاء كفر باتفاق

٣ - ولو قالوا نقصد بالايمان أعمال الجوارح ، نقول لهم أخطئتم لان أعمال الجوارح جائت فى الشرع بمعنى الاسلام المقيد كما فى حديث جبريل ، وجائت أعمال الجوارح فى الشرع بمعنى الايمان ولكن على المعنى العام ، والمعنى العام يشمل حقيقة الايمان وكمال الايمان معاً ويشمل الايمان المقيد والاسلام المقيد ولا يصح الاستثناء عندهم على هولاء جميعاً

٤ - ولو سلمنا جدلاً أن الايمان = أعمال الجوارح ، نقول لهم كذلك أخطئتم ، لان أعمال الجوارح ليست كلها من كمال الايمان ، بل منها ما هو من حقيقة الايمان كالصلوات الخمس وبتركها يذهب الايمان وينتفى ويكفر العبد

ثانياً :- مُصطلح " الإسلام " :

هو مُصطلح شرعى جاء فى الكتاب والسنة وتكلم به الصحابة رضوان الله عليهم

الإسلام لغة : الاستسلام والانقياد (وذلك يكون بـــ الظاهر)

قال ابن منظور : الإِسْلامُ الاسْتِسْلامُ والانقياد ، والإِسْلامُ من الشريعة إظهار الخضوع وإِظهار الشريعة . اهـــ (١)

الإسلام شرعاً : هو إظهار الاستسلام والخضوع لله باتباع الشريعة الاسلامية

والإسلام فى الشرع جاء على معنيين :

١ - معنى عام مُطلق

٢ - معنى خاص مُقيد

المعنى العام المُطلق لمُصطلح الإسلام هو : دين الاسلام ، فالاسلام اسم عند إطلاقه يُراد به الدين بشموله

وهذا المعنى هو هو أركان الايمان الاربعة (قول القلب و عمل القلب و قول اللسان و عمل الجوارح)

وهو هو التوحيد بشموله (توحيد الاثبات والمعرفة وتوحيد العبادة)

المعنى الخاص المُقيد لمُصطلح الإسلام هو : الظاهر وله ركنين فقط وهما

(قول اللسان ، عمل الجوارح)

وهذا المعنى هو الاسلام فى حديث جبريل عليه السلام ، وهو هو توحيد العبادة (الالوهية)

والاسلام له قسمين : -

١ - حقيقة الاسلام

٢ - كمال الاسلام والكمال قسمين (كمال الاسلام الواجب وكمال الاسلام المُستحب)

فمُصطلح الاسلام عند إطلاقه له معنى وهو يشمل الايمان معه وعند التقييد له معنى أخر ولا يشمل الايمان معه

الاسلام العام المُطلق = الايمان المُقيد فى حديث جبريل والاسلام المُقيد فى حديث جبريل

الاسلام الخاص المُقيد = الظاهر = (قول اللسان وعمل الجوارح) = الاسلام فى حديث جبريل

---

(١) لسان العرب ١٢ / ٢٨٩ لابن منظور الأفريقى المصرى ، ط/ دار صادر - بيروت

أخطاء بعض أهل العلم فى تفسير مُصطلح الاسلام :-

البعض من أهل العلم فسر الاسلام على أنه معنى واحد فقط وهو الدين وجعل الاسلام ليس له قسمين وقالوا أن الاسلام هو الحقيقة واليقين الذى لا شك فيه ، وجعلوا الاسلام مرتبة أقل من الإيمان ، وبناء عليه منعوا من أن يقول العبد أنا مُسلم ان شاء الله ، وجوزا قول أنا مؤمن ان شاء الله ، لان الاسلام عندهم هو الحقيقة التى لا يجوز الشك فيها ، فيجزم العبد بقوله أنا مُسلم ، لان الاسلام هو الحد الادنى لصحة الدين وتحققه عندهم ، ولا يقول أنا مؤمن ، بل يقول أنا مؤمن ان شاء الله ، لان الايمان على حسب زعمهم مرتبة كمال أعلى من الاسلام ، ولا يعلم العبد هل هى مُتحققة فيه أم لا أى (مرتبة كمال الايمان) ، وفريق أخر قال ولا نعلم هل أتى بها كما ينبغى على الوجه المأمور أم لا ، وهذا كله خلاف الشريعة من عدة أوجه :-

١ - أن الايمان ليس مرتبة أعلى من الاسلام ، بل مطلوب ممن أراد دخول الدين الاسلامى أن يأتى بـــ (الايمان والاسلام معاً ، فالايمان فى حديث جبريل من لم يأتى به أو بأى ركن من الاركان الستة فهو كافر غير مُسلم بل من انتقص من أى ركن من الاركان الستة فى حديث جبريل فهو كافر ، فكيف يكون الايمان منزلة أعلى من الاسلام

٢ - أن الايمان والاسلام لابد منهما معاً حتى يتحقق الدين عند من أراد الدخول فيه والا فهو كافر غير مُسلم فمن أتى بالاركان الستة أى الايمان ولم يات بالشهادة والصلاة فهو كافر ، ومن أتى بالايمان ولم يأت بالشهادة فقط أو الصلاة فقط فهو أيضاً كافر والمطلوب أن يأتى بهما معاً حتى ينتسب للدين الاسلامى ويكون من أهله

وبذلك تعلم خطأ الجملة المشهورة (كل مؤمن مُسلم وليس كل مُسلم مؤمن) فهى عبارة خاطئة لما بيناه من قبل والصحيح أن (كل مؤمن مُسلم وكل مُسلم مؤمن) فلابد أن يأتى بالاسلام والايمان معاً والا كان كافراً

فهناك فرق بين الاسلام والايمان ، ولكن ليس هناك فرق بين المؤمن والمُسلم

أُكرر للاهمية ، هُناك فرق بين الاسلام والايمان ، ولكن ليس هناك فرق بين المؤمن والمُسلم

لان كل مؤمن أتى بالايمان والاسلام معاً ، وكل مُسلم أتى بالايمان والاسلام معاً ، ومن لم يأتى بهما معاً فهو كافر

وبذلك جعلوا الاستثناء فى الايمان فقط ، وليس فى الاسلام ، على اعتبار أن الايمان منزلة أعلى من الاسلام
أى أن الايمان عندهم = كمال الايمان ، وجعلوا الاسلام هو الاصل على أعتبار ان الاصل عندهم بمعنى حقيقة الايمان

أى الحد الادنى للبقاء على الدين الاسلامى ، وغفل هولاء عن أن الايمان والاسلام كل واحد منهما له قسمين وهما

أ - حقيقة (وهى قسم واحد الانتفاء فيه أو الانتقاص منه كفر أكبر)
ب - كمال (وهى قسمين كمال واجب وكمال مُستحب)

فالحاصل هنا مما مضى أن الاسلام والايمان كل منهما لازم حتى يصح الدين للعباد ، ولا يتحقق دين عبد الا بالاسلام والايمان معاً ، ولا يحمل اسم مؤمن إلا بالايمان والاسلام معاً ، ولا يحمل اسم مسلم الا بالايمان والاسلام معاً .

٣ – الاستثناء لو صح لكان فى الاسلام وليس فى الايمان ، لان من قال بأن الاستثناء على الاعمال ، لاننا لا ندرى هل اتينا بالاعمال على الوجه المأمور أم لا ، يلزمه الاستثناء على الاسلام وليس الايمان ، لان أعمال الجوارح هى الاسلام الظاهر ، وليست أعمال الجوارح هى الايمان بالمعنى المُقيد ، ولو أرادوا الاستثناء فى الايمان على المعنى العام المُطلق للزمهم أيضاً الاستثناء على الاسلام لان الايمان المُطلق يشمل الاسلام المُقيد والمُطلق معاً . !!!

٤ – كثير ممن يقول ببدعة الاستثناء فى الايمان يقول لا نستثنى على أصل الايمان ويقصدون بمُصطلح الاصل الحقيقة أى حقيقة الايمان كما سيأتى ، ولو تدبروا لعلموا أنهم مُخطئون من كل وجه ، واليكم بيان ذلك : –

قلنا من قبل أن الايمان اسم يُستخدم عند أهل العلم ممن يقول ببدعة الاستثناء فى الايمان على معنيين وهما :

أ – " الايمان المُقيد " وهو بمعنى الايمان الذى فى الباطن ويسمونه " أصل الايمان "

وهذا المعنى لو قصدوا تعليق المشيئة به لكفروا كما قالت مُرجئة الفقهاء لانه شك ، والشك من نواقض الايمان والكثير من أهل العلم وبخاصة من المتاخرين ينفون هذا النوع من الاستثناء المزعوم

ب – " الايمان المُطلق " وهو عندهم بمعنى الايمان كله أصله أى " حقيقته " وكماله ، وغالب القائلين بالاستثناء يقصدون هذا النوع من الايمان ، وهذا المعنى ، ولو تدبروا لعلموا أن كمال الايمان على مُصطلحاتهم وكلامهم إنما هو على الاسلام لان أعمال الجوارح من الاسلام وليست من الايمان ، ولان الايمان المُطلق يشمل الاسلام المُقيد والاسلام المُطلق ، فلزمهم الاستثناء على الاسلام أيضاً ، وبذلك يكونون قد استثنوا على ما يُسمى عندهم بأصل الايمان أى " حقيقة الايمان " لان أعمال الجوارح منها ما هو عندهم من أصل الايمان أى حقيقة الايمان ، فمن استثنى وقصد بالاستثناء المزعوم أعمال الجوارح نقول له الصلاة من حقيقة الايمان .

فالحاصل أنهم ان قصدوا الاستثناء على أعمال الجوارح ، فأعمال الجوارح كما فى حديث جبريل هى الاسلام ، فيلزمكم الاستثناء على الاسلام وليس الايمان .

وان قصدوا الاستثناء فى الايمان نقول لهم الايمان فى حديث جبريل ذكر ان اركان الايمان ستة فهل تقصدون الاستثناء فى أى منهم ، فان قالوا نعم ، فهذا كُفر بواح ، ونُعيذهم بالله من هذا الضلال المُبين

تذكير هام وهو بخصوص حديث جبريل :

الإِسْلاَمُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله وَأَنّ مُحَمّدا رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَتُقِيمَ الصّلاَةَ ، وَتُؤْتِيَ الزّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجّ الْبَيْتَ ، إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً "

الإِيمَانِ : " أَنْ تُؤْمِنَ بِالله ، وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ "

فحقيقة الايمان عندهم : هى الاسلام ولذلك لم يُجوزوا الاستثناء فى الاسلام

وكمال الايمان عندهم : هو الايمان ولذلك جوزا الاستثناء فى الايمان

مع أن الشرع جعل الاسلام هو الظاهر (قول اللسان – عمل الجوارح) ومنه أى الاسلام منه (حقيقة و كمال) والايمان هو الباطن (قول القلب – عمل القلب) ومنه أى الايمان منه (حقيقة و كمال)

والاثنيين أى الايمان والاسلام لازمين للعبد حتى يدخل الدين ويصير من أهله وبين الظاهر والباطن تلازم كلى وجزئى

وسواء استثنوا فى حقيقة الايمان أو فى كمال الايمان فكلاهما بدعة مُحدثة لم يأتى بها الكتاب ولا السنة ولا قال بها أى أحد من الصحابة .

وهذا مثال يُثبت ما قلته فى تفسيرهم لُمصطلح الاسلام : –

وسأضرب مثالين واحد من أهل العلم المُتقدمين والاخر من أهل العلم المُتاخرين

فمثال المُتقدمين للامام أحمد بن حنبل والزهرى رحمة الله عليهما :

قيل لأبي عبد الله (احمد بن حنبل) : فأنت أي شيء تقول ؟ فقال : نحن نذهب إلى الاستثناء ، قلت لأبي عبد الله : فأما إذا قال : أنا مسلم فلا يستثنى ؟ فقال : لا يستثنى إذا قال : أنا مسلم ، قال الزهرى : نرى الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل . اهـــ (١)

ومثال المُتاخرين :

السؤال :

حكم قول أنا مؤمن إن شاء الله ، هل يستطيع المسلم قول : أنا مؤمن إن شاء الله ؟

الجواب :

الحمد لله ، مسألة الاستثناء في الإيمان من المسائل التي وقع فيها لأهل العلم مناقشات مطولة ومُستفيضة والموقف الصحيح حيال هذه العبارة أن يُستفصل عن معنى قوله : (مؤمن) فإن أراد أصل الإيمان الذي هو بمعنى الإسلام والذي يكون بدونه كافرا فلا يصح الاستثناء والحالة هذه لأنه يكون حينئذ متضمنا لمعنى الشك في أصل الدين وهو محرم بل يجب على المسلم أن يجزم بإيمانه بهذا الاعتبار ويقول : أنا مؤمن دون استثناء ، وأما إن أراد كمال الإيمان والمرتبة العالية التي هي فوق مرتبة الإسلام فعليه أن يستثني ويقول إن شاء الله لأن في عدم الإستثناء تزكية منعت الشريعة منها كما في قوله تعالى : (فلا تُزكوا أنفسكم) .
وإذا أراد الإنسان لفظة لا إشكال فيه ليعبّر بها عن دينه الذي يعتقده فليقل : أنا مسلم ولا يحتاج إلى استثناء في هذه الحالة والله أعلم . اهـــ (٢)

---

(١) الابانة لابن بطة ١١٩٥

(٢) الإسلام سؤال وجواب ، سؤال رقم ٢٦٨٩ ، الشيخ محمد صالح المنجد

ثالثاً :- مُصطلح " حقيقة الايمان "

الحقيقة لغة : " الحَقِيقةُ ما يصير إليه حَقُّ الأمر ووجُوبُه " . اهـ (١)

" الحقيقة : هى فى اللغة مأخوذة من الحق ، والحق هو الثابت اللازم وهو نقيض الباطل ومنه يقال حق الشيء حقه ويقال حقيقة الشيء أى ذاته الثابتة اللازمة " . اهـ (٢)

حَقِيقَةَ الشَّيْءِ مَانِعَةٌ لَهُ مِنْ الِالْتِبَاسِ بِغَيْرِهِ نَاطِقَةٌ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ مِنْ الدُّخُولِ فِي حُكْمِهِ ، وَقَالَتْ الْفَلَاسِفَةُ : هُوَ الْجَوَابُ الصَّحِيحُ فِي سُؤَالٍ مَا هُوَ ؟ " . اهـ (٣)

حقيقة الايمان شرعاً : هو مُصطلح شرعى جاء فى الكتاب والسنة وتكلم به الصحابة رضوان الله عليهم والمقصود به بما يَصير المرء مُسلماً ، وبما يصح إسلامه ويدخل الجنة ولا يُخلد فى النار ، والزيادة والنقصان المعروفة فى الايمان لا تدخل على هذا القسم أى (حقيقة الايمان) بل النقصان فيه كفر وردة تُخرج من الدين

والدليل على هذا المُصطلح (حقيقة الايمان) من القران :-

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ () الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ () أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا " الانفال ٢ ، ٤

قال الامام مُحمد بن نصر المروزى : (فَوَصَفَهُمْ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بَعْدَ قِيَامِهِمْ بِالْأَعْمَالِ) . اهـ (٤)

فلا حقيقة للايمان بغير العمل ، والعمل منه ما هو من حقيقة الايمان كالصلاة ، ومنه ما هو من كمال الايمان الواجب كالزكاة و الصيام و الحج ، ومنه ما هو من كمال الايمان المُستحب كالصدقة وصيام الاثنين والخميس وقيام الليل

والدليل على هذا المُصطلح (حقيقة الايمان) من السنة :-

أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، أخبرنا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ يَحْيَى الْآدَمِيُّ ، حدثنا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ ، حدثنا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ ، أخبرنا سُلَيْمَانُ بْنُ عُتْبَةَ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً ، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ " . (٥)

وقد تكلم الصحابة بمُصطلح (حقيقة الايمان) :-

قال البيهقى : أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ ، أنا أَبُو بَكْرِ بْنُ دَاسَةَ ، ثنا أَبُو دَاوُدَ ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ

---

(١) لسان العرب ١٠ / ٤٩ ، لابن منظور الأفريقى المصرى ، ط/ دار صادر – بيروت

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ١ / ٥٢ ، لـــ أبو الحسن علي بن محمد الآمدى ، ط / دار الكتاب العربي – بيروت

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه ١ / ١٢٧ ، أبو عبد الله بدر الزركشى ، ط / دار الكتبى

(٤) تعظيم قدر الصلاة ١ / ٣٥٦ ، لـــ محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ، ط / مكتبة الدار – المدينة بالسعودية

(٥) شعب الإيمان ١ / ٣٨٨ برقم ٢١١ لـــ أبو بكر البيهقى ، ط / مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض السعودية

مُسَافِرٍ الْهُذَلِيُّ ، ثنا يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ ، ثنا الْوَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ ، عَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ : قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لَابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي . (١)

والايمان بالقدر من حقيقة الايمان ، أى أنه باتفاق لا يكون العبد مؤمن حتى يؤمن بذلك ، فمن لم يؤمن بذلك فهو كافر وليس بمؤمن باتفاق ، فبين النبى أن مصطلح حقيقة الايمان يُطلق على الاركان التى بغيابها يذهب الايمان ولا يكون مؤمناً وفى الحديث الذى قبله أكد الصحابى عُبادة بن الصامت فهمه ذلك من كلام النبى

وحقيقة الايمان تتحقق بأمرين

١ – الاتيان بمأمورات

٢ – اجتناب منهيات

والمامورات هى مأمورات مخصوصة من أقوال وأعمال فى الظاهر والباطن ، وكذلك المنهيات هى منهيات مخصوصة من أقوال وأعمال فى الظاهر والباطن

وحتى لا أُطيل لن اتعرض الا للمامورات والمنهيات فى الظاهر لان هذا هو ما نحن بصدده الان

المأمورات التى تُمثل حقيقة الاسلام فى الظاهر

من الاقوال : الشهادتين فقط " وهى قول العبد أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمد رسول الله "

من الاعمال : الصلاة فقط " وهى الصلوات الخمس المفروضة "

قال ابن تيمية : والقول الذي يصير به مؤمنا قول مخصوص وهو الشهادتان فكذلك العمل هو الصلاة . اهـــ (٢)

المنهيات التى إجتنابها يُمثل حقيقة الاسلام فى الظاهر

والمنهيات كثيرة جداً جداً وسأذكر منها أمثلة من الاقوال والاعمال

من الاقوال : سب الله أو الرسول أو سب الدين أو الاستهزاء بأى منهما أو جحود شىء من الدين

من الاعمال : السحر أو صرف العبادات لغير الله كـــ السجود والركوع والنذر .... الخ

فمن أتى بالمأمورات المخصوصة واجتنب المنهيات المخصوصة فقد حقق الإيمان وثبت له عقد الاسلام

---

(١) السنن الكبرى ٢٠٨٧٥ ، ١٠ / ٣٤٤ ، لـــ أبو بكر البيهقى ، ط / دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ١ / ١٣٦ ، للبيهقى ط / دار الافاق الجديدة ، بيروت – لبنان

(٢) شرح العمدة لابن تيمية ص ٨٦ ، ط / دار العاصمة الرياض ، السعودية

أخطاء بعض أهل العلم فى تفسير مُصطلح الحقيقة أو حقيقة الايمان :-

ونضرب مثال على ذلك بكلام للامام الاجرى رحمه الله

قال : باب ذكر الاستثناء في الإيمان من غير شك فيه قال محمد بن الحسين رحمه الله : من صفة أهل الحق ، ممن ذكرنا من أهل العلم : الاستثناء في الإيمان ، لا على جهة الشك ، نعوذ بالله من الشك في الإيمان ، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان ، لا يدرى أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟ وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سئلوا : أمؤمن أنت ؟ قال : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار ، وأشباه هذا ، والناطق بهذا ، والمصدق به بقلبه مؤمن ، وإنما الاستثناء فى الإيمان لا يدرى : أهو ممن يستوجب ما نعت الله عز وجل به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا ؟ هذا وطريق الصحابة رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ، عندهم أن الاستثناء في الأعمال ، لا يكون فى القول ، والتصديق بالقلب ، وإنما الاستثناء فى الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان ، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون ، به يتوارثون ، وبه يتناكحون ، وبه تجري أحكام ملة الإسلام . اهـ (١)

قلت (على بن شعبان) : ووجه الخطأ هنا واضح جداً وهو أن الامام الاجرى اعتبر حقيقة الايمان اسم يدل على كمال الايمان وذلك واضح جداً فى قوله " خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان ، لا يدرى أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟ " فاعتبر حقيقة الايمان مُصطلح يدل على استكمال الايمان وهذا يصطدم باللغة وبالشرع كما بينا من قبل ، فنتج من ذلك عندهم الاستثناء فى الايمان على اعتبار ان الحقيقة هى الكمال ، مع أن مذهب الامام الاجرى فى الايمان أن عمل الجوارح ركن فى الايمان ، والركن جزء من حقيقة الشيء وبدونه لا يقوم الشيء فكيف يستثنى على الركن الذى لا يتحقق الايمان ولا يقوم الا به كما هو مذهبه ؟ !!! ، ولكن أبى الله أن يصح إلا كلامه

رابعاً :- مُصطلح " كمال الايمان "

الكمال لغة : الكَمَال التَّمام . اهـ (٢)

" الكمال الانتهاء إلى غاية ليس وراءها مزيد من كل وجه ذكره الحرالى وقال ابن الكمال كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه فإذا قيل كمل فمعناه حصل ما هو الغرض منه " . اهـ (٣)

وجاء فى معجم اللغة العربية المعاصرة معانى كثيرة لُمصطلح " كمال " ومدلولاته فى حياة البشر

١ – مصدر كَمَلَ وكمُلَ وكمِلَ بالتَّمام والكمال : كاملاً غير منقوص ، له كَمَال الشّيء كُلّه .

٢ – أعلى درجة في سُلَّم القِيَم " الكمال لله وحده ، مثال فى الكمال ، المرء بفضيلته لا بفصيلته وبكماله لا بجماله وبأدبه لا بثيابه " .

---

(١) الشريعة ص ١٣١

(٢) لسان العرب ١١ / ٥٩٨ ، لابن منظور الأفريقى المصرى ، ط/ دار صادر – بيروت

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف ١ / ٦٠٩ للمناوى ، ط / دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق

٣ – كمال الأجسام : بناء الجسم عن طريق ممارسة التّمارين البدنيَّة واتّباع نظام غذائيّ معيَّن .

٤ – كَماليَّات : شيء غير ضروريّ ، أو ما يمكن الاستغناء عنه " لم تعد السّيّارة من الكماليَّات " . اهـــ (١)

ويُقال مُكملات أى مُتممات تكون زائدة على حقيقة الشيء ، ويكون الشيء مُتحقق والذات موجودة بغير هذا الكمال ، فكمال الشيء هو تمامه وبلوغ الحد الاقصى فيه

كمال الايمان شرعاً : هو مصطلح شرعى ورد فى السنة ، والمقصود به ما يزيد على حقيقة الايمان ، وكمال الايمان ينقسم الى قسمين ، كمال الايمان الواجب ، وكمال الايمان المُستحب ، والزيادة والنقصان المعروفة فى الايمان عند أهل السنة تدخل على هذا القسم (كمال الايمان) ، ويزيد فى هذا القسم الايمان حتى يبلغ صاحبه درجات الصديقين ، وبنقصانه وانتفائه جميعاً لا يذهب الايمان ولا يخرج العبد من الدين .

الدليل على هذا المصطلح (كمال الايمان) من السنة :–

حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْبِسْطَامِيُّ ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » . (٢)

وكمال الايمان قد ينقص وينقص حتى يذهب كمال الايمان كله ، ولا يبقى مع العبد سوى حقيقة الايمان أى (ما يصير به مؤمن) ، ومثال ذلك من السنة :–

١– حديث المُفلس

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ ، قَالَا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ ، عَنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ ، وَصِيَامٍ ، وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " . (٣)

قلت (على شعبان) : ففى الحديث أثبت النبى لهذا المُفلس الاسلام لان الله تقبل صلاته وصيامه وزكاته فهو مؤمن هذا أولاً

ثانياً : الافعال التى فعلها من الذنوب ، لا تصل الى حد الكُفر الاكبر المُخرج من الملة باتفاق (شتم ، قذف ، أكل مال الناس ، سفك دماء ، ضرب) ومع ذلك النبى ﷺ يقول " فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ "

والسؤال الآن : ما معنى فنيت حسناته ؟ !!! هل كل الحسنات بما فى ذلك حسنات التوحيد وعدم الشرك بالله ؟!!

لا فهذه الافعال التى مضت (شتم ، قذف ، أكل مال الناس سفك دماء ، ضرب) ليست بــــ كفر أو شرك أكبر

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣ / ١٩٥٩ مُصطلح رقم ٤٤٠٨ ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر ، ط / عالم الكتب

(٢) تعظيم قدر الصلاة برقم ٤٥٣ ، ١ / ٤٤١ ، لــــ محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ، ط / مكتبة الدار – المدينة السعودية

(٣) مسلم ٢٥٨٤

أقول وبالله التوفيق كما بينا قبل ذلك : المقصود نفى ما زاد عن حقيقة الايمان من الحسنات والاعمال

فهولاء المُسلمين المُفلسين لن يُخلدوا فى النار بل سيخرجون منها برحمة الله فى دفعات الشفاعة (شفاعة النبيين والملائكة والمؤمنين ، ثم أخرهم شفاعة أرحم الراحمين الذين " لم يعملوا خيرا قط = الذين فنيت حسناتهم "

فالذين فنيت حسناتهم لم يعد لهم رصيد فى صحيفة الحسنات بسبب ما أخذه الناس منهم من الحسنات ، فاصبحوا ليس لهم أى عمل خير فى صحيفة الحسنات الا حقيقة الايمان (التوحيد وعدم الشرك بالله) .

ويجب التنبه إلى قول النبى (الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فالمُفلس ليس فى الدنيا وكذلك من لم يعمل خيراً قط ليس فى الدنيا ، فليس فى الدنيا أحد نطق الشهادتين ثم لم يعمل خيراً قط وليس فى الدنيا أحد نطق الشهادتين وهو مُفلس

أخطاء بعض أهل العلم فى تفسير مُصطلح الكمال أو كمال الايمان :-

البعض من أهل العلم يجعل مُصطلح الكمال عائد على مُصطلح " الايمان " فاذا ذُكر الايمان انصرفت اذهانهم الى كمال الايمان حتى انهم قالوا قاعدة بناء على ذلك وهى " كل مؤمن مُسلم وليس كل مُسلم مؤمن " والمعنى عندهم أن كل مؤمن مُتحقق فيه الاسلام وليس كل مُسلم مُتحقق فيه الايمان وهذا تفسير لا يحتاج كثير بيان لتبيين ضعفه ومُخالفته للنصوص الشرعية ، فسواء ذُكر لفظ الايمان مُطلق أو مُقيد لا يسلم لهم هذا الفهم أبداً ، وهم لهم فى ذلك شبهات سيأتى الرد عليها وبيانها فى موضعها ، فبنى هولاء العلماء مذهبهم فى بدعة الاستثناء على ذلك أن مُصطلح الايمان يعنى كمال الايمان ، وأجازوا وأوجبوا تلك البدعة (أى الاستثناء فى الايمان) بناء على ذلك .

خامساً : – مُصطلح " الاصل "

الاصل لغة : من مادة (أصل) والأَصْلُ أسفل كل شيء وجمعه أُصول . اهــ (١)

الاصل شرعاً : هو مُصطلح شرعى ورد فى القران الكريم

قال الله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) ابراهيم ٢٤

مصطلح (أصل) = الإيمان فى حديث جبريل = الباطن = قول وعمل القلب = توحيد الإثبات والمعرفة

أخطاء بعض أهل العلم فى تفسير مُصطلح أصل الايمان :-

كثير من أهل العلم استخدم مُصطلح أصل الايمان على أنه حقيقة الايمان أى الحد الادنى للايمان الذى لا يكفر اذا انتفى او انتقص منه شيء ، وهذا خلاف ما جاء فى القران ، فنتج عن ذلك أن اعتبروا الفرع بمعنى الكمال ، واستقوى أهل الارجاء أمثال الشيخ ربيع المدخلى وغيره بذلك وحملوا كلام الله ما لا يحتمله وفسروه بخلاف اللغة

---

(١) لسان العرب ١١ / ١٦ لابن منظور الأفريقى المصرى ، ط/ دار صادر – بيروت

التى نزل بها ، وبخلاف الاصول وحملوا كلام أهل العلم ما لا يحتمله ، وبنوا مذهبهم على أن أعمال الجوارح من الفروع والفرع هو الكمال ، ونتج عن ذلك ظهور الارجاء بشكل جديد ، ولكن هيهات لهم أن يستقيم لهم ذلك التفسير ، فقد خلطوا بين أمرين ، وأُشكل عليهم شيء ، وغفلوا عن شيء هام جداً هو سبب ذلك الضلال الذى وقعوا فيه ، ألا وهو تفسير مُصطلح الاصل والفرع ، فلما ضرب الله مثال الاصل والفرع فى القران لم يقصد أى أصل وأى فرع وأى شجرة كلا كلا ، بل بين الله أن الشجرة هى النخلة والاصل أصل النخلة والفرع فرع النخلة ، فظن الشيخ ربيع المدخلى ورفاقه من المُرجئة أن فرع النخلة مثل أى شجرة عندما يُقطع يظل الاصل ثابت وحى ويخرج غيره ولا تموت الشجرة ، والامر بخلاف ما ظنوه لان النخلة هى الشجرة الوحيد على الارض التى اذا قُطع فرعها أو حدث به خلل مات الاصل " الجذر " وتموت الشجرة بذلك ، فنعم أعمال الجوارح هى الفرع ولكن الله ضرب مثال الفرع بفرع النخلة ، وليس بأى فرع ، ولذلك من يستثنى يقول لا نستثنى على أصل الايمان ولكن يقصد الفرع أى أعمال الجوارح ، ولو انتبهوا للوازم كلامهم لعلموا أن الاصل هو (قول القلب وعمل القلب فقط = الباطن) ، والفرع هو (قول اللسان وعمل الجوارح = الظاهر) فالشهادتين من الفرع فهل يجوز عندهم أن يقول الرجل (أشهد أن لا اله الا الله ان شاء الله) ؟ !! سبحانك هذا بهتان عظيم

وشيء هام جداً غفلوا عنه وهو أن الاصل له حقيقة وكمال والفرع له حقيقة وكمال ، والايمان له حقيقة وكمال ، والاسلام له حقيقة وكمال .

سادساً : – مُصطلح " الفرع "

الفرع لغة : من مادة (فرع) وفَرْعُ كلّ شيء أَعْلاه والجمع فُرُوعٌ . اهـــ (١)

الفرع شرعاً : هو مُصطلح شرعى ورد فى القران الكريم

قال الله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) ابراهيم ٢٤

مُصطلح (فرع) = الإسلام فى حديث جبريل = الظاهر = قول اللسان وعمل الجوارح = توحيد العبادة

ملحوظة هامة تختص بالفرع وهى أن الشهادتين ليست من أصل الإيمان بل من فرع الايمان ، والدليل ما يلى :–

حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ ، عَنِ ابْنِ عَجْلانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " الإِيمَانُ سِتُّونَ، أَوْ سَبْعُونَ ، أَوْ بِضْعَةٌ وَاحِدُ الْعَدَدَيْنِ : أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ " . اهـــ (٢)

وقد بينا من قبل أن الفرع كما قال ابن منظور : فَرْعُ كلّ شيء أَعْلاه والنبى قال أن أعلى الايمان الشهادتين فقول اللسان وعمل الجوارح من فروع الايمان = أعلاها = الظاهر = الاسلام فى حديث جبريل = توحيد العبادة

---

(١) لسان العرب ٨ / ٢٤٦ ، لابن منظور الأفريقى المصرى ، ط/ دار صادر – بيروت

(٢) مُصنف ابن ابى شيبة ٢٦٧٤٩ ، مسند أحمد ٨٧٧٠

أخطاء بعض أهل العلم فى تفسير مُصطلح فرع الايمان :-

كثير من أهل العلم استخدم مُصطلح فرع الايمان على أنه كمال الايمان أى الحد الاقصى للايمان المُتمم له والذى لا يكفر صاحبه اذا انتفى عنه او انتقص منه شيء ، وهذا خلاف ما جاء فى القران ، فنتج عن ذلك أن اعتبروا الفرع بمعنى الكمال ، واستقوى أهل الارجاء أمثال الشيخ ربيع المدخلى وغيره من المُرجئة بذلك وحملوا كلام الله ما لا يحتمله وفسروه بخلاف اللغة التى نزل بها وبخلاف الاصول ، وحملوا كلام بعض أهل العلم ما لا يحتمله ، وبنوا مذهبهم على أن أعمال الجوارح من الفروع والفرع هو الكمال ، ونتج عن ذلك ظهور الارجاء بشكل جديد ، ولكن هيهات لهم أن يستقيم لهم ذلك التفسير ، فقد خلطوا بين أمرين ، واُشكل عليهم شيء ، وغفلوا عن شيء هام جداً هو سبب ذلك الضلال الذى وقعوا فيه ، ألا وهو تفسير مُصطلح الاصل والفرع ، فلما ضرب الله مثال الاصل والفرع فى القران لم يقصد اى أصل وأى فرع وأى شجرة ، بل بين الله أن الشجرة هى النخلة والاصل أصل النخلة والفرع فرع النخلة ، فظن الشيخ ربيع المدخلى ورفاقه من المُرجئة أن فرع النخلة مثل فرع أى شجرة عندما يُقطع يظل الاصل ثابت وحى ويخرج غيره ولا تموت الشجرة ، والامر بخلاف ما ظنوه لان النخلة هى الشجرة الوحيدة على الارض التى اذا قُطع فرعها أو حدث به خلل مات الاصل " الجذر " وتموت الشجرة بذلك ، فنعم أعمال الجوارح هى الفرع ولكن الله ضرب مثال الفرع بفرع النخلة ، وليس بأى فرع ، ولذلك من يستثنى فى الايمان يقول لا نستثنى على أصل الايمان ولكن يقصد الفرع أى أعمال الجوارح ، ولو انتبهوا للوازم كلامهم لعلموا أن الاصل هو (قول القلب وعمل القلب فقط = الباطن) ، والفرع هو (قول اللسان وعمل الجوارح = الظاهر) فالشهادتين من الفرع فهل يجوز عندهم أن يقول الرجل (أشهد أن لا اله الا الله ان شاء الله) ؟ !! سبحانك هذا بهتان عظيم

وشيء هام جداً غفلوا عنه وهو أن الاصل له حقيقة وكمال والفرع له حقيقة وكمال ، والايمان له حقيقة وكمال ، والاسلام له حقيقة وكمال .

السبب الثانى :- اضطرابهم فى سبب الاستثناء فى الايمان وتفرقهم على عدة مذاهب

فقاموا باختراع أساطير واُمور ما أنزل الله بها من سلطان لتبرير بدعة الاستثناء فى الايمان مثل :-

١ - فهمهم الخاطيء لتزكية النفس ومدلولاتها

ففهموا التزكية بخلاف ما صرح به القران وما صرحت به السنة ، وسيأتى بيان ذلك فى أدلة الهدم

٢ - تجويز الاستثناء أو إيجابه فى الايمان لعدم العلم هل أتينا بالاعمال على الوجه المأمور الذى ينبغى أم لا .

٣ - تجويز الاستثناء أو إيجابه فى كمال الايمان لعدم العلم بقبول العمل أم لا (ولو جاز فعلهم ذلك يلزمهم وجوباً الاستثناء فى حقيقة الايمان (أى ما يسمونه أصل الايمان) والعلة الجامعة هى عدم العلم بقبول أصل الايمان عند الله أم لا .

٤ – تجويز الاستثناء فى الايمان من باب البركة (على سبيل التبرك)

٥ – استدلالهم بأيات وأحاديث وكلام للصحابة وتحريف معناه لغة وشرعاً ليتم لهم المقصود فى تجويز بدعة الاستثناء فى الايمان

وسوف أُبين بفضل ضعف استدلالاتهم لغةً وشرعاً وبالاصول العلمية ، وبيان المعانى الصحيحة لتفسير تلك الايات والاحاديث وكلام الصحابة بالاسانيد الصحيحة بتفسير القران بالقران ، وتفسير القران بالسنة ، وتفسير السنة بالسنة وباللغة العربية وأقوال الصحابة ومن كلام أهل العلم ، حتى لا يبقى لجاهل عُذر ولا لُمحب شبهة ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، والله أسأل أن يُجنبنى الزلل انه ولى ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل

المطلب الخامس

مذاهب أهل العلم فى الاستثناء واختلافهم فيه والرد على شبهات جواز الاستثناء فى الايمان

فهذه أدلة الذين قالوا بجواز الاستثناء فى الايمان والرد عليها ، كل مذهب على حدا

المذهب الاول :- وهم الذين قالوا نحن نستثنى فى الايمان خوفاً وتورعاً من تزكية النفس .

قال الامام الاجرى (المُتوفى ٣٦٠ هـ) فى الشريعة : باب ذكر الاستثناء في الإيمان من غير شك فيه
قال محمد بن الحسين رحمه الله : من صفة أهل الحق ، ممن ذكرنا من أهل العلم : الاستثناء في الإيمان ، لا على جهة الشك ، نعوذ بالله من الشك في الإيمان ، ولكن خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان ، لا يدري أهو ممن يستحق حقيقة الإيمان أم لا ؟ وذلك أن أهل العلم من أهل الحق إذا سُئلوا : أمؤمن أنت ؟ قال : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار ، وأشباه هذا ، والناطق بهذا ، والمصدق به بقلبه مؤمن ، وإنما الاستثناء في الإيمان لا يدري : أهو ممن يستوجب ما نعت الله عز وجل به المؤمنين من حقيقة الإيمان أم لا ؟ هذا وطريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ، عندهم أن الاستثناء في الأعمال ، لا يكون في القول ، والتصديق بالقلب ، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان ، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون ، به يتوارثون ، وبه يتناكحون ، وبه تجري أحكام ملة الإسلام ، ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بيناه لك وبينه العلماء من قبلنا . اهـ (١)

قلت (على بن شعبان) : فأما قوله أن الاستثناء (صفة أهل الحق) فأقول وهل الرسول وأصحابه ليسوا من أهل الحق ؟ !! فالهم لم يثبت عنهم الهم تلفظوا بذلك الاستثناء فى الايمان أبداً !!

وأما عن قوله : أن الاستثناء سببه (خوف التزكية لأنفسهم من الاستكمال للإيمان)

فأقول فهمهم للتزكية بخلاف ما جاء فى القران فالله ﷻ يقول (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) النجم ٣٢
فنعم نحن مأمورون بعدم تزكية النفس لان امر الله فى ذلك صريح جداً ، ولكن ما هى التزكية ؟ وما هو المنهى عنه فى التزكية ؟ هل كل التزكية أم وجه مخصوص هو الذى أراده الله ورسوله

التزكية فى اللغة : زَكِيٌّ أَي زاكٍ من قوم أَتْقِياء أَزْكِياء ، وقد زَكا زَكاء وزُكُوّاً وزَكِيَ وتَزَكَّى وزَكَّاه الله وزَكَّى نفسَه تَزْكِيةً مدَحها ، وفى حديث زينبَ كان اسْمُها بَرَّةَ فغَيَّره وقال تُزَكِّي نفسَها ، وزَكَّى الرجل نفسَه إِذا وصفها وأَثنى عليها . (٢)

فالتزكية هى الثناء والمدح سواء بحق أو بباطل ، سواء كان هذا الثناء والمدح مُتحقق فى الشخص أو غير مُتحقق

---

(١) الشريعة للاجرى ص ١٣٠

(٢) لسان العرب ١٤ / ٣٥٨ ، لـ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى ، ط / دار صادر - بيروت

ومن اصول التفسير كما هو معلوم ومُتفق عليه

١- تفسير القران بالقران

٢- تفسير القران بالسنة

٣- تفسير القران باقوال الصحابة

٤- تفسير القران باللغة العربية ، ولن نعدم بعد هولاء الاربعة تفسير أبداً أبداً أكرر ولن نعدم بعد ذلك تفسير أبداً

ولنرى معاً كيف بين الله معنى التزكية التى أراد منا اجتنابها فى اية سورة النجم فقد بين الله معناها وتفسيرها فى أيات أُخرى ولنرى معاً الاصل الاول وهو تفسير القران بالقران مثل قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا () انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا) النساء ٤٩ ، ٥٠

فالتزكية المذمومة المقصودة فى الشرع هنا والتى أرادها الله تعالى هى : إدعاء شيء غيبي عند الله للنفس من الثواب أو المكانة والمترلة لا تُدرك الا بوحى مثل :-

قولهم { نَحْنُ أَبْنَاء الله وَأَحِبَّاؤُهُ } المائدة ١٨ وقولهم { لَن تَمَسَّنَا النار إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً } البقرة ٨٠

وقولهم { لَن يَدْخُلَ الجنة إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نصارى } البقرة ١١١

يقول الشيخ محمد بن الامين الشنقيطى فى أضواء البيان : أنكر تعالى عليهم في هذه الآية تزكيتهم أنفسهم بقوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين } النساء ٤٩ ، وبقوله : { انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وكفى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً } النساء ٥٠ وصرح بالنهي العام عن تزكية النفس وأحرى نفس الكافر التي هي أخس شيء وأنجسه بقوله : { هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأرض وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تزكوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتقى } النجم ٣٢ ولم يُبين هنا كيفية تزكيتهم أنفسهم ولكنه بين ذلك فى مواضع أُخرى كقوله عنهم { نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ } المائدة ١٨ وقوله : { وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الجنة إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نصارى } البقرة ١١١ إلى غير ذلك من الآيات . اهـــ (١)

وننتقل الان الى الاصل الثانى والثالث فى تفسير القران وهو تفسير النبى والصحابة للتزكية

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ " اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ فَقُلْتُ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ ؟ ، فَقُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ ؟ ، فَقَالَ : أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي ، قَالَتْ : فَوَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا " (٢)

والشاهد أن النبى جعل ذلك تدخل فى علم الله الغيبي وسمى الصحابة ذلك بالتزكية .

---

(١) أضواء البيان فى إيضاح القران بالقران ١ / ٢٤٣ ، للشيخ الامين الشنقيطى ، ط / دار الفكر بيروت

(٢) البخارى ١٢٤٣

حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ قال : سَمَّيْتُ ابْنَتِي بَرَّةَ ، فَقَالَتْ لِي زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ نَهَى عَنْ هَذَا الِاسْمِ وَسُمِّيتُ بَرَّةَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ " ، فَقَالُوا : بِمَ نُسَمِّيهَا ، قَالَ : " سَمُّوهَا زَيْنَبَ " (١)

والشاهد أن النبي جعل ذلك تدخل فى علم الله الغيبي وسمى النبي ذلك بتزكية النفس وفسر الاية بذلك .

وكذلك يتضح المعنى فى دعاء النبي (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا) (٢)

والشاهد هنا أن النبي سئل الله أن يُزكى نفسه لان الله هو وحده الذى يزكيها اى يُطهرها ويغفر لها وليس ذلك لاحد غير الله ولا يجوز طلب هذا من غير الله .

واما تزكية النفس التى نهى الله ورسوله عنها كما هو واضح تطهير النفس وتبرئتها من امور غيبية أو من استحقاق العقوبة أو الشهادة بمكانة أو منزلة عند الله من ثواب واستحقاق المغفرة لان ذلك كله فى علم الله

قلت (على بن شعبان) : فتبين بوضوح لا خفاء فيه أن التزكية المقصودة كما قيل من قبل هى الثناء والمدح بشيء فيه دخول الى علم الله والقول على الله بغير علم هذه هى التزكية المذمومة وذلك هو الذى فعله اليهود والنصارى لعنة الله عليهم وكذلك الذى فعلته ام العلاء رضى الله عنها وام زينب (حديث تسميتها بـــ برة) وقد جاء النهى عن ذلك صريح من الله ورسوله ، ولكن التزكية بشيء مُتحقق فى العبد أو الشهادة له بذلك جائز ولا شيء فيه ، بل هو أحياناً يصل الى الوجوب وأحياناً يصل الى الاستحباب وإليكم على ذلك أمثلة :-

وهذه أمثلة لمن يُزكى نفسه بشيء مُتحقق فيه :-

قال الله تعالى عن رسول الله يوسف عليه السلام (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) يوسف ٥٥

والشاهد قوله عليه السلام (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) فقد وصف سيدنا يوسف عليه السلام نفسه بوصف فيه ثناء ومدح ولكنه يعلم من نفسه ذلك وهو مُتحقق فيه فبذلك لا تكون هذه تزكية للنفس

وقال الله تعالى عن رسول الله يوسف عليه السلام (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ () وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) يوسف ٥٨ ، ٥٩

والشاهد قوله عليه السلام (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) فقد وصف سيدنا يوسف عليه السلام نفسه بوصف فيه ثناء ومدح ولكنه يعلم من نفسه ذلك وهو مُتحقق فيه فبذلك لا تكون هذه تزكية للنفس

حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ النُّمَيْرِيُّ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ ، وَقَالَ اللَّيْثُ ، حَدَّثَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ عَلِيًّا، وَأُسَامَةَ حِينَ

---

(١) مسلم ٢١٤٤

(٢) مسلم ٢٧٢٣

اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَقَالَ : أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا ، وَقَالَتْ بَرِيرَةُ : إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " مَنْ يَعْذِرُنَا فِي رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا " (١)

والشاهد تزكية النبي لعائشة وصفوان ولم يقل النبي احسبهم كذلك والله حسيبهم لان الوصف مُتحقق فيهما بيقين ولا يُزال عنهم هذا الوصف الا بيقين فالنبي علم تحقق ذلك فيهما بيقين فزكاهم من غير قوله احسبهم

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ : يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ ، مَا رَأَيْتِ ؟ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا ، قَالَتْ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ " (٢)

وعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : " بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ ، قَالَ : " انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ " ، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ فَقُلْنَا : الْكِتَابُ ، فَقَالَتْ : مَا مَعَنَا كِتَابٌ ، فَأَنَخْنَاهَا ، فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا ، فَقُلْنَا : مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ ، فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ : " مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ " ، قَالَ حَاطِبٌ : وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ : " صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا " ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ : " أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ " ، فَقَالَ : " لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " ، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ " . (٣)

قلت (على بن شعبان) : والشاهد أن النبي زكى أهل بدر بأنهم ليس فيهم منافق بل وغفر الله لهم بل وأوجب لهم الجنة ومع ذلك لم يقل أحسبهم كذلك لان ذلك المدح والثناء مُتحقق فيهم علمه النبي بيقين عن طريق الوحى فجزم به

وأخرج البخارى " بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : " مَا فَعَلَ كَعْبٌ ؟ " فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَ مَا قُلْتَ ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ . (٤)

قلت (على بن شعبان) : والشاهد أن معاذ زكى كعب وشهد له ولم يقل أحسبه وأقره النبي ولم يعترض لان الوصف مُتحقق فيه بالفعل

---

(١) البخارى ٢٦٣٧

(٢) البخارى ٢٦٦١

(٣) البخارى ٣٩٨٣

(٤) البخارى ٤٤١٨

وأخرج البخارى من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال : أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهِيَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ ، فَرَآهُمْ فَكَرِهَ ذَلِكَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَقَالَ : لَمْ أَرَ إِلَّا خَيْرًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : " إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَّأَهَا مِنْ ذَلِكَ " ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ : " لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا عَلَى مُغِيبَةٍ إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ " . (١)

قلت (على بن شعبان) : والشاهد أن النبى زكى أسماء بنت عميس وطهرها وبراها وشهد لها بدون قوله احسبها والله حسيبها وذلك لان النبى زكاها بيقين مُتحقق فيها وبين ذلك بقوله " إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَّأَهَا مِنْ ذَلِكَ " وكذلك فعل أبو بكر

والامثلة على ذلك لا تُحصى ولكن نكتفى حتى لا نُطيل

فاذا كان العبد فيه صفة مُتحققة فيه ووصف نفسه بها فهذه ليست بتزكية أبداً

وانظر لقول النبى (أَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ) . (٢)

هل بذلك خالف النبى الاية ؟ !! أبداً أبداً لان الوصف مُتحقق فيه

وكذلك لما زكى النبى غيره مثل أبو عبيدة بن أبى الجراح ولم يقل أحسبه كذلك والله حسيبه لان الوصف مُتحقق فيه

أَخْبَرَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مَسْعُودٍ ، عَنْ خَالِدٍ ، قَالَ : ثنا شُعْبَةُ ، أَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخْبَرَهُمْ ، قَالَ : سَمِعْتُ صِلَةَ بْنَ زُفَرَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ ، ذَكَرَ أَهْلَ نَجْرَانَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالُوا : ابْعَثْ عَلَيْنَا رَجُلا أَمِينًا ، قَالَ : لأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ ، فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ رَسُولُ اللَّهِ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ " . (٣)

وزكى النبى محمد الكثير من الصحابة مثل ما أخرجه مسلم فى صحيحه قال

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ وَأَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الْأَزْدِيُّ ، قَالَا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، " أَنّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ ، فَتَحَرَّكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : اسْكُنْ حِرَاءُ ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ ، وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . (٤)

وأما ان كان أحد غيرى اريد وصفه وتزكيته بالمدح والثناء فقد أجاز النبى ذلك كما مضى ولم يمنع النبى التزكية على الاطلاق بل فصل الامر

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :

---

(١) البخارى ٢١٧٦

(٢) البخارى ٤٣٥١

(٣) السنن الكبرى للنسائى ٨١٤٢ وصححه الالبانى

(٤) مسلم ٢٤١٩

أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ فَقَالَ : وَيْلَكَ ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا ، ثُمَّ قَالَ : " مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ " . (١)

ولكن النبى أجاز ذلك بشرطين

الشرط الاول : أن يكون الذى يمدح نفسه راى ذلك فى نفسه مُتحقق ، أو شخص أخر يُريد مدحه فلابد أن يرى ذلك فيه مُتحقق

الشرط الثاني : اذا كان من غيره ويريد تزكيته بشيء غيبي أو خفي أن يُقيد الوصف بقوله أحسبه عند الله كذا

وعلة ذلك أنه له الظاهر أى أن لنا الظاهر ، وقد يكون هذا الرجل يُظهر ذلك وهو فى قلبه منافق وذلك أمر خفى لا يعلمه الا الله أى أعمال القلوب الباطنة الخفية مثل حديث سعد بن أبى وقاص لما فعل ذلك ونهاه النبى عن ذلك

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : " أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ رِجَالًا وَلَمْ يُعْطِ رَجُلًا مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعْطَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَلَمْ تُعْطِ فُلَانًا شَيْئًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : أَوْ مُسْلِمٌ حَتَّى أَعَادَهَا سَعْدٌ ثَلَاثًا وَالنَّبِيُّ يَقُولُ : أَوْ مُسْلِمٌ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ : إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ لَا أُعْطِيهِ شَيْئًا مَخَافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ " . (١)

فهنا مؤمن بمعنى الباطن ومسلم بمعنى الظاهر ، وليس كما قد يظن البعض أن هذا نهى عن وصف أحد بأنه مؤمن ولكن مقصود النبى أن الظاهر لنا الايمان فهو مؤمن فى الظاهر أما فى باطنه فقد يكون ليس بمؤمن كما هو الحال فى هذا الحديث وذلك واضح فى نهاية الحديث ، فالنبى يريد أن يُبين لسعد أنه له من الناس الظاهر وليس أحد يعلم الباطن الا الله وبين له أن هذا الرجل يُعطيه النبى ويدع أخرين لا يُعطيهم لانه يعلم أن هولاء الذين يُعطيهم يُظهرون الاسلام وليس فى قلوبهم ايمان فيتالفهم لكى يثبتوا على الاسلام وذلك المعنى يتضح أكثر بهذا الحديث وهو برواية سعد بن أبى وقاص أيضاً وفى نفس المعنى ولكن بتوضيح أكثر وبيان تفصيل

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ ، وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ : لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ ، قَالَ : " فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ " ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي ، وَمَا أَنَا ؟ قَالَ : " فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ " قَالَ : فَخَرَجَ سَعْدٌ ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ ، قَالَ :

---

(١) البخارى ٢٦٦٢

(٢) مسلم ١٥٢ وابو داود ٤٦٨٣ واللفظ لابو داود

فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ ، فَدَخَلُوا ، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ ، فَقَالَ : قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ : فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ : " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟ " ، قَالُوا : بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ ، قَالَ : " أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ " ، قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ ، قَالَ : " أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا ، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ؟ (١)

(لِيُسْلِمُوا) أى ليثبتوا على اسلامهم الظاهر وأما أنتم فوكلتكم الى ثباتكم على دينكم

والحاصل مما مضى :

١ – أن التزكية هى الوصف بثناء ومدح بغض النظر عن كون الشيء مُتحقق فى الشخص الممدوح أو غير مُتحقق فيه

٢ – التزكية جائزة على الاطلاق بشرطين

أ – أن يكون الوصف الذى اَمتدح فيه الشخص مُتحقق فى المُزكى الممدوح وأعلمه فيه

ب – اذا كان الامر غيبي وفيه قول على الله بلا علم فلابد أن أقول أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أُزكى على الله أحد

وسأضرب عدة أمثلة على التزكية المذمومة للنفس وهى مُشتهرة بين الناس مثل :–

أنا قريب من الله ، أنت قريب من الله ، فلان قريب من الله ، ربنا بيحبنى ، ربنا بيحبك ، ربنا بيحب فلان ، المغفور له ، المرحوم فلان ، الشهيد فلان ...... الخ

فكل هذه الكلمات وأمثالها تزكية للنفس مذمومة وهى المقصودة فى اية سورة النجم لانها قول على الله بلا علم

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١١٣٢٢

المذهب الثانى :- وهم الذين قالوا نحن نستثنى فى الايمان لاننا لا نعلم هل تقبل الله أعمالنا أم لا .

قال الامام ابن بطة فى الابانة (سبيل المؤمنين وطريق العقلاء من العلماء لزوم الاستثناء والخوف والرجاء ، لا يدرون كيف أحوالهم عند الله ، ولا كيف أعمالهم أمقبولة هي أم مردودة ؟ قال الله عز وجل : (إنما يتقبل الله من المتقين) . وأخبر عن عبده الصالح سليمان عليه السلام في مسألته إياه : (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا) . أفلا تراه كيف يسأل الله الرضا منه بالعمل الصالح ، لأنه قد علم أن الأعمال ليست بنافعة وإن كانت في منظر العين صالحة ، إلا أن يكون الله عز وجل قد رضيها وقبلها ، فهل يجوز لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجزم أن أعماله الصالحة من أفعال الخير ، وأعمال البر كلها مرضية ، وعنده زكية ، ولديه مقبولة .

هذا لا يقدر على حتمه وجزمه إلا جاهل مُغتر بالله ، نعوذ بالله من الغرة بالله والإصرار على معصية الله ، أما ترون رحمكم الله إلى الرجل من المسلمين قد صلى الصلاة فأتمها وأكملها وربما كانت في جماعة وفي وقتها ، وعلى تمام طهارتها ، فيقال له : صليت ؟ فيقول : قد صليت إن قبلها الله ، وكذلك القوم يصومون شهر رمضان ، فيقولون في آخره : صمنا إن كان الله قد تقبله منا . وكذلك يقول من قدم من حجة بعد فراغه من حجه وعمرته وقضاء جميع مناسكه إذا سئل عن حجه ، إنما يقول : قد حججنا ما بقي غير القبول ، وكذلك دعاء الناس لأنفسهم ، ودعاء بعضهم لبعض : اللهم تقبل صومنا ، وزكاتنا ، وبذلك يلقى الحاج فيقال له : قبل الله حجك ، وزكى عملك ، وكذا يتلاقى الناس عند انقضاء شهر رمضان ، فيقول بعضهم لبعض : قبل الله منا ومنك . بهذا مضت سنة المسلمين ، وعليه جرت عاداتهم ، وأخذه خلفهم عن سلفهم ، فليس يخالف الاستثناء في الإيمان ويأبى قبوله إلا رجل خبيث مرجئ ضال ، قد استحوذ الشيطان على قلبه ، نعوذ بالله منه .

حدثنا أبو حفص عمر بن محمد بن رجاء قال : حدثنا أبو نصر عصمة قال : سمعت أبا عبد الله ، يقول : كان سليمان بن حرب يحمل هذا يعني الاستثناء على التقبل ، يقولون : نحن نعمل ، ولا ندري أيتقبل أم لا) . اهـ (١)

قلت (على بن شعبان) : والرد على هذا المذهب من عدة أوجه :-

الوجه الاول : إلزام صحيح ، وقياس جلى صحيح ، لم ولن يقولوا به !!!

قلت (على بن شعبان) : هم يقولون نقول (أنا مؤمن ان شاء الله) لاننا لا نعلم هل تقبل الله أعمالنا أم لا

فيلزمهم أيضاً أن يقولوا أنا مُسلم ان شاء الله لانهم لا يعلمون هل قبل الله إسلامهم أم لا !!

ويلزمهم اذا سئلهم أحد هل أمنتم بالرسل والكتب ؟ أن يقولوا أمنا إن شاء الله لانهم لا يعلمون هل قبل الله إيمانهم بالرسل والكتب أم لا !!

---

(١) الابانة الكبرى لابن بطة ١١٨٥

ويلزمهم أذا سئلهم أحد هل صمتم ؟ أن يقولوا صمنا ان شاء الله !! ، لانهم لا يعلمون هل قبل الله صيامهم أم لا

ويلزمهم أذا سئلهم أحد هل حججتم ؟ أن يقولوا حججنا ان شاء الله !! ، لانهم لا يعلمون هل قبل الله حجهم أم لا

ويلزمهم أذا سئلهم أحد هل أخرجتم الزكاة ؟ أن يقولوا أخرجنا زكاتنا ان شاء الله !! ، لانهم لا يعلمون هل قبل الله زكاتهم أم لا

فان قالوا لا هذا لا يصح ولا يجوز !!

قلنا لهم يلزمكم هذا والا كان منعكم لذلك تناقض صريح ، وإتباع للهوى

وان قالوا نعم يصح ذلك !!

قلنا هذا منكم تضليل للنبى والصحابة لانهم لم يقولوا هذا أبداً ، مع وجود الدوافع (أى وجود المُقتضى للفعل) ، وانتفاء الموانع ، ومع ذلك لم يقولوه أبداً فهل أنتم خيراً من النبى والصحابة ، وهل سبقتم النبى والصحابة الى فضل تركوه أو تنساه النبى والصحابة أو غفلوا عنه ؟ !!

والنبى والصحابة قالوا بخلاف ذلك وذكروا الصلاة والصدقة وسائر العبادات من الاعمال ومع ذلك لم يذكروا تلك الخُرافة المُحدثة التى تُسمى بالاستثناء فى الايمان وإليكم بيان ذلك :-

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ : عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ الْمُقْرِئُ ابْنُ الْحَمَّامِيِّ بِبَغْدَادَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ الْفَقِيهُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- الْفَجْرَ بِمِنًى ، فَجَاءَ رَجُلاَنِ حَتَّى وَقَفَا عَلَى رَوَاحِلِهِمَا ، فَأَمَرَ بِهِمَا النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- فَجِىءَ بِهِمَا تُرْعَدُ فَرَائِصُهُمَا ، فَقَالَ لَهُمَا :« مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَ النَّاسِ؟ أَلَسْتُمَا مُسْلِمَيْنِ ». قَالاَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا صَلَّيْنَا فِى رِحَالِنَا. فَقَالَ لَهُمَا :« إِذَا صَلَّيْتُمَا فِى رِحَالِكُمَا ثُمَّ أَتَيْتُمَا الإِمَامَ فَصَلِّيَا مَعَهُ ، فَإِنَّهَا لَكُمَا نَافِلَةٌ » . (١)

والشاهد أن الرجلين وهما من الصحابة قالا للنبى : **صَلَّيْنَا** ، ولم يذكرا خرافة الاستثناء أى تعليق المشيئة ، فلم يقولا صلينا ان شاء الله ومع ذلك لم يُنكر عليهما النبى واقرهما على قولهما

والسؤال هل النبى جهل ذلك ؟ !! حاش لله

هل النبى نسى ذلك ؟ !! حاش لله

هل أنتم أعلم من النبى فى ذلك ؟ !! حاش لله

هل أنتم أفضل من النبى والصحابة حتى تستدركوا عليهم ؟ !! حاش لله

فلا يسع أحد مُخالفة ما كان عليه النبى والصحابة والاستدراك عليهم ، لان لوازم ذلك تضليل للنبى والصحابة

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى ٣٧٨٧ ، السنن الكبرى للنسائى ٩٣١ ، سنن ابى داود ٥٧٥ ، سنن الترمذى ٢١٩

وإليكم مثال أخر وأقوى فى الاستدلال : -

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِي الْفَزَارِيَّ ، عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْأَشْجَعِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ". (١)

والشاهد أن أبا بكر لما سُئل أجاب أنا صمت وأنا أتبعت الجنازة وأنا تصدقت وأنا عُدت مريض ، وكل هذه من أعمال الجوارح ، ولم يعلم أبا بكر هل قبلها الله منه أم لا ، ومع ذلك لم يقل فى هذا كله ان شاء الله ، ولم يذكر تلك الخرافة والاسطورة المزعومة الاستثناء ، فلم يقل أبو بكر صمت ان شاء الله وتصدقت ان شاء الله ، والنبى أقره على ذلك ، ولم يُنكر عليه ، ولم يقل له أخطأت يا أبا بكر لانك لا تعلم هل قبل الله منك أم لا !!

والسؤال هل النبى جهل ذلك ؟ !! حاش لله

هل النبى نسى ذلك ؟ !! حاش لله

هل أنتم أعلم من النبى فى ذلك ؟ !! حاش لله

هل أنتم أفضل من النبى والصحابة حتى تستدركوا عليهم ؟ !! حاش لله

فلا يسع أحد مُخالفة ما كان عليه النبى والصحابة والاستدراك عليهم ، لان لوازم ذلك تضليل للنبى والصحابة

الوجه الثانى : أعمال الجوارح هى الاسلام سواء كان الاسلام العام المُطلق ، أو سواء الاسلام الخاص المُقيد .

الاسلام سواء قُصد به الاسلام العام المُطلق أو سواء قُصد به الاسلام الخاص المُقيد فهو يشمل أعمال الجوارح فى كلتا الحالتين فيلزمهم الاستثناء على الاسلام بقول (أنا مُسلم إن شاء الله) وبيان ذلك كما يلى : -

الإسلام فى الشرع جاء على معنيين ، معنى عام مُطلق ، ومعنى خاص مُقيد

المعنى العام المُطلق لمُصطلح الإسلام هو : دين الاسلام ، فالاسلام اسم عند إطلاقه يُراد به الدين بشموله وهذا المعنى هو هو أركان الايمان الاربعة (قول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح) ، وهو هو التوحيد بشموله ، وأعمال الجوارح داخلة فى الاسلام هنا بالمعنى العام المُطلق سواء عند من جعل عمل الجوارح ركن أو سواء عند من جعل عمل الجوارح كلها واجب كمالى ومُستحب ، وبذلك يلزمهم الاستثناء على الاسلام لاحتوائه على أعمال الجوارح .

---

(١) مسلم ١٠٢٩

المعنى الخاص المُقيد لمُصطلح الإسلام هو : الظاهر وله ركنين فقط وهما

(قول اللسان ، عمل الجوارح)

وهذا المعنى هو الاسلام فى حديث جبريل عليه السلام ، وهو هو توحيد العبادة (الالوهية)

وحديث جبريل ذُكر فيه (الشهادتين – الصلاة – الزكاة صوم رمضان – الحج)

وأعمال الجوارح داخلة فى الاسلام هنا بالمعنى الخاص المُقيد سواء عند من جعل عمل الجوارح ركن أو سواء عند من جعل عمل الجوارح كلها واجب كمالى ومُستحب ، وبذلك يلزمهم الاستثناء على الاسلام لاحتوائه على أعمال الجوارح .

والاسلام سواء المُطلق أو المُقيد له قسمين : –

١ – حقيقة الاسلام

٢ – كمال الاسلام ، والكمال قسمين (كمال الاسلام الواجب وكمال الاسلام المُستحب)

فمُصطلح الاسلام عند إطلاقه له معنى وهو يشمل الايمان معه وعند التقييد له معنى أخر ولا يشمل الايمان معه وفى كلا الامرين يحتوى على أعمال الجوارح ، والسؤال الذى نسئله لمن اخترع بدعة الاستثناء فى الايمان :

اذا كانت أعمال الجوارح تدخل فى الاسلام سواء المُطلق أو سواء المُقيد ، فلماذا تمنعون الاستثناء على الاسلام ؟ !!

الوجه الثالث : ما يُقال فى الاعمال يُقال فى الاقوال والاعتقاد

بمعنى أنه يلزمهم أى يلزم من يقول ببدعة الاستثناء فى الايمان أنا مؤمن ان شاء الله لانه لا يدرى هل قبل الله عمله أم لا ، فـــ يلزمه أن يقول : (أشهد أن لا إله إلا الله إن شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .

ويلزمه أن يقول : (أمنت بالله ورسوله ان شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .

ويلزمه أن يقول : (أمنت بالقدر خيره وشره ان شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .

ويلزمه أن يقول : (أمنت بالرسل والكتب ان شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .

ويلزمه أن يقول : (أمنت بالملائكة ان شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .

فمن فرق بين الاعمال والاقوال والاعتقاد ، فليسئل الله أن يَمن عليه بقلب سليم خالى من الاهواء .

لان العلة واحدة وجامعة بينهم ، ألا وهى عدم معرفة القبول من الله .

* قال الامام الاجرى : هذا وطريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ، عندهم أن الاستثناء في الأعمال ، لا يكون في القول ، والتصديق بالقلب ، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان . اهـــ (١)

---

(١) الشريعة ٢ / ٦٥٧ لـــ الاجرى المتوفى ٣٦٠ هـــ ، ط / دار الوطن – الرياض السعودية

قلت (على بن شعبان) :

١ – قول الامام الاجرى طريق الصحابة افتراء على الصحابة ولم يقل صحابي واحد بتلك الخرافة (الاستثناء فى الايمان " أنا مؤمن إن شاء الله ") .

٢ – تفريقه بين القول والعمل والاعتقاد ليس عليه حجة غير اتباع الظن الذى انبنى بداية على ظن مثله

* روى الخلال فى السنة بسند صحيح عن أبي بكر بن حماد المقرى قال : وأخبرني بعض أصحابنا قال : سمعت أبا عبد الله (يعني أحمد بن حنبل) يقول : لو كان القول كما تقول المرجئة أن الإيمان قول ! ثم استثنى بعد على القول لكان هذا قبيحًا أن تقول : لا إله إلا الله إن شاء الله ، ولكن الاستثناء في العمل . اهـــ (١)

قلت (على بن شعبان) : سبحان الله كيف يُجيز الامام أحمد لنفسه التحسين والتقبيح فى الدين بغير نص ؟ !! يُجيز الاستثناء فى العمل ويُقبح الاستثناء فى القول ، أليس عند الامام أحمد يجوز الاستثناء على اليقين ؟ !! ، ولكن أبى الله أن يصح الا كلامه ، فصدق ربى اذ يقول " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا " النساء ٨٢

* قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " فعلم أن أحمد وغيره من السلف ، كانوا يجزمون ولا يشكون فى وجود ما فى القلب من الإيمان فى هذه الحال ، ويجعلون الاستثناء عائدًا إلى الإيمان المُطلق المُتضمن فعل المأمور . اهـــ (٢)

قلت (على بن شعبان) : سبحان الله أليس القول من المأمور والاعتقاد أيضاً من المأمورات ؟ !!

فما وجه التفريق بين مأمور ومأمور ؟ !!

وأيضاً أليس القول من الايمان المُطلق والاعتقاد من الايمان المُطلق ؟ !! فالايمان المُطلق يشمل الايمان المُقيد !!

أليس من استثنى على الايمان المُطلق يستثنى بذلك على الاقوال والاعتقادات ؟ !!

الوجه الرابع : كمال الايمان ليس فقط أعمال الجوارح

ليس كمال الايمان الواجب والمُستحب يقتصر فقط على أعمال الجوارح (عدا الصلوات الخمس المفروضة لانها من حقيقة الايمان) بل هناك من الاقوال والاعتقادات ما هو من كمال الايمان الواجب والمُستحب مثل :

" العلم بأحكام الفرائض من صيام وحج .... الخ " وهو من (الواجبات) وهو من قول القلب وهو من كمال الايمان

فيلزمهم أن يقولوا أنا تعلمت أحكام الصيام إن شاء الله وأحكام الزكاة إن شاء الله وهكذا لانهم لا يعلمون هل قبل الله هذا العلم الذى هو من كمال الايمان أم لا ، أو هل تعلموا هذا العلم على الوجه المأمور به أم لا .

---

(١) السنة ٣ / ٦٠١ برقم ١٠٦٧ لابى بكر الخلال ، ط / دار الراية الرياض بالسعودية

(٢) مجموع الفتاوى ٧ / ٤٥٠

و " حب الصحابة " فهو اعتقاد وهو من أعمال القلوب وهو من (الواجبات) وهو من كمال الايمان

فيلزمهم أن يقولوا أنا أُحب الصحابة إن شاء الله ، لان حب الصحابة من كمال الايمان ، وهم لا يعلمون هل قبل الله هذا الحب الذى هو من كمال الايمان أم لا ، أو هل أحبوا الصحابة على الوجه المأمور به أم لا .

و " التسبيح والاستغفار " فهو من قول اللسان وهو ليس من الاعمال وهو من كمال الايمان

فيلزمهم أن يقولوا " أستغفر الله إن شاء الله و سبحان الله إن شاء الله " ، لان الاستغفار والتسبيح من كمال الايمان ، وهم لا يعلمون هل قبل الله هذا الاستغفار والتسبيح الذى هو من كمال الايمان أم لا ، أو هل استغفروا وسبحوا على الوجه المأمور به أم لا .

المذهب الثالث : – وهم الذين قالوا نحن نستثنى فى الايمان لاننا لا نعلم **هل أتينا بالعمل على الوجه المأمور كما ينبغى أم لا** .

* قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

(أذهب إلى حديث ابن مسعود فى الاستثناء فى الإيمان ؛ لأن الإيمان قول وعمل ، والعمل الفعل ، فقد جئنا بالقول ، ونخشى أن نكون قد فرطنا فى العمل ؛ فيُعجبنى أن نستثني فى الإيمان ، نقول : أنا مؤمن إن شاء الله) . اهـ (١)

* قال شيخ الاسلام ابن تيمية : قال المروذى : قيل لأبي عبد الله : نقول نحن المؤمنون ؟ فقال: نقول : نحن المسلمون قلت لأبي عبد الله: نقول : إنا مؤمنون ، قال : ولكن نقول : إنا مسلمون ، وهذا لأن من أصله الاستثناء في الإيمان لأنه لا يعلم أنه مؤد لجميع ما أمره الله به فهو مثل قوله : أنا بر أنا تقى أنا ولى الله ؛ كما يذكر فى موضعه ؛ وهذا لا يمنع ترك الاستثناء إذا أراد إني مصدق فإنه يجزم بما فى قلبه من التصديق ولا يجزم بأنه ممتثل لكل ما أمر به . اهـ (٢)

قلت (على بن شعبان) : وهم يقصدون بذلك أن العبد لا يعلم هل أتى بكل ما أمر الله أم لا وهل أتى بالعمل كما أمر الله من أركان وشروط وواجبات ومُستحبات كما أراد الله أم لا ، فقالوا : نستثنى ونقول أنا مؤمن لذلك .

قلت : سبحانك ربى هذا بهتان عظيم ، فهذا كلام يتعارض ويَصطدم بالشريعة صراحة واليكم بيان ذلك : –

النبى قال عن الجارية أنها مؤمنة ولم يذكر تلك الاسطورة والخرافة أى (الاستثناء فى الايمان)

فعند مسلم فى صحيحه قال رسول الله للجارية : أَيْنَ اللَّهُ ؟ ، قَالَتْ فِي السَّمَاءِ ، قَالَ مَنْ أَنَا ؟ ، قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ . (٣)

فلم يقل النبى أعتقها فإنها مؤمنة إن شاء الله ، بل جزم بذلك وجعله شيء مُتحقق فيها ولم يعتبره تزكية .

فهل الجارية أدت كل أوامر الله وتركت كل المنهيات وأتت بالمأمورات على الوجه الذى ينبغى ويرتضيه الله ؟ !!

فان اعترض أحد وقال بأن النبى يقصد هنا الايمان المُقيد ، أى الايمان بالله ورسله وكتبه أى (حقيقة الايمان) نقول : سواء قصد الايمان المُقيد أو الايمان المُطلق فكلاهما يشملهما (حقيقة الايمان) أى ان الايمان المُطلق معه حقيقة الايمان أو كما يُطلقون هم عليه (أصل الايمان) ، ولو ارادوا بقصدهم أعمال الجوارح لاستثنوا على الاسلام المقيد ، لان لفظ الاسلام فى الشرع يأتى على أعمال الجوارح بالمعنى المقيد .

---

(١) السنة لابى بكر الخلال ٣ / ٦٠٠ برقم ١٠٦٥ ، ط / دار الراية بالرياض السعودية

(٢) مجموع الفتاوى ٧ / ٣٧٥

(٣) صحيح مسلم ١٢٢٧

المذهب الرابع و الخامس : – وهم الذين قالوا نحن نستثنى فى الايمان من باب البركة (أى ذكر المشيئة على سبيل التبرك) ومن باب التعليل (أى ذكر مشيئة الله لانى ما فعلت الا بمشيئته)

* قال الامام النووى رحمه الله :

وقوله ﷺ : (وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) التقييد بالمشيئة على سبيل التبرك وامتثال قول الله تعالى : ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وقيل : المشيئة عائدة إلى تلك التربة بعينها ، وقيل غير ذلك . وفي هذا الحديث دليل لاستحباب زيارة القبور والسلام على أهلها والدعاء لهم والترحم عليهم . اهـــ (١)

* السؤال : فضيلة الشيخ : ما رأيكم في قول القائل : أنا صائم إن شاء الله ، أو أنا مؤمن إن شاء الله ، وقوله كذلك : سوف آتيك غداً إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً ؟

الجواب : أما من قال : أنا صائم إن شاء الله ، أو أنا مؤمن إن شاء الله ، فإذا كان قصد بذلك التبرك بذكر المشيئة فلا بأس ، ولا ينقص من إيمانه شيئا ، ولا من صيامه شيئا ، وكذلك إذا قصد بقوله إن شاء الله التعليل يعنى : أني صائم بمشيئة الله ، أو أني مؤمن بمشيئة الله ، فلا بأس أيضاً؛ لأن التعليل بالمشيئة ثابت حتى في الأمور المتيقنة، ألا ترى إلى قول الله تعالى { لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ } الفتح ٢٧ مع أن هذا خبر مؤكد من الله ، ومع هذا علق بالمشيئة، ألا ترى إلى قول من يزور المقابر) : وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) ومعلوم أن الإنسان سيلحق بكل تأكيد ، لكن هذا من باب التعليل بالمشيئة ، فإنه قصد التبرك فهذا جائز ، أو التعليل بالمشيئة فهذا أيضاً جائز ، أما إذا قال إن شاء الله متردداً فى ذلك فإنه ليس بمؤمن لأن الإيمان لا بد فيه من الجزم ، فلو قال : أنا مؤمن إن شاء الله متردداً في ذلك فهو لم يؤمن ويعتبر كافراً ؛ لأن الواجب الجزم بالإيمان ، وكذلك أيضاً يقال في الصيام : إذا كان متردداً فإن صومه لا يصح ، أما إذا ذكر ذلك على سبيل التبرك أو على سبيل التعليل بالمشيئة فهذا لا بأس به . اهـــ (٢)

وقال الشيخ الراجحى : – فإذا قال : (أنا مؤمن إن شاء الله) فإن الاستثناء راجع إلى الأعمال ... ثم قال : وكذلك إذا أراد التبرك بذكر اسم الله فلا بأس . اهـــ (٣)

قلت (على بن شعبان) : وهذا عمل مُخترع فى التعبد (مُحدث بدعة) لم يفعله النبى محمد وأصحابه مع وجود الدوافع للفعل (أى وجود الُمقتضى) وانتفاء أى مانع يمنعهم من ذلك ، فالنبى والصحابة أفضل من كل أحد ممن قال بأنه يجوز الاستثناء تبركاً بذكر مشيئة الله وهم أى النبى والصحابة أحرص على أى خير من عبادات الاقوال والافعال ممن بعدهم ، فهل النووى والعثيمين وغيرهم أحرص على الخير من الانبياء والصحابة ؟ !!!

---

(١) شرح صحيح مسلم ٧ / ٤١ للنووى ، ط / دار احياء التراث العربى

(٢) سلسلة لقاءات الباب المفوح للعلامة العثيمين ٧٦ / ٣١ ، ط / مؤسسة العثيمين الخيرية ، وهى مُفرغة على موقع الشبكة الاسلامية

(٣) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر ص٢٠ لـــ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحى

ان الانبياء والصحابة كانوا أشد حرصاً على التبرك من أى أحد ومع ذلك لم يفعلوا ، واليكم بيان بذلك :-

قال البخارى حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام بِسَارَةَ فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنْ الْمُلُوكِ أَوْ جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ قَالَ أُخْتِي ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ لَا تُكَذِّبِي حَدِيثِي فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهَا فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي فَقَالَتْ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ فَغُطَّ حَتَّى رَكَضَ بِرِجْلِهِ . (١)

قلت (على بن شعبان) : والشاهد قول نبى الله ابراهيم " إِنْ عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ " فقال أنا مؤمن بغير تلك الخرافة التى تُسمى بالاستثناء فى الايمان ، ولم يعتبرها النبى تزكية ، بل روى الخبر ولم يُعقب عليه وأقره ، ولم يذكر نبى الله ابراهيم المشيئة مع الايمان لا على سبيل التبرك ولا على سبيل التعليل ، فهل نبى الله ابراهيم أخطأ ؟ !! وهل تابعه النبى محمد وأقره على خطئه ؟! ، وهل أبوهريرة أيضاً ومن روى الحديث من الصحابة غفلوا عن ذلك ؟!

ســــــــــــــبحانك ربى هـــــــــــــــذا بهتــــــــــــــــان عظـــــــــــــيم

وهل أهل العلم الذين اخترعوا الاستثناء على سبيل التبرك والتعليل أحرص على ذكر الله والتبرك بذكر الله وإرضاء الله أكثر من الانبياء والصحابة ؟ !!

" سُـــبْحَانَ رَبِّـــكَ رَبِّ الْعِـــزَّةِ عَمَّـــا يَصِـــفُونَ () وَسَـــلَامٌ عَلَـــى الْمُرْسَـــلِينَ " الصـــافات ١٨٠ ، ١٨١

(١) البخارى ٢٢١٧

المذهب السادس : – وهم الذين قالوا نحن نستثنى فى الايمان لاننا لا ندرى هل سنموت على الايمان أم لا ، وهل نحن من أهل الجنة أم لا (وهذا المذهب عندهم اسمه " الموافاة ")

وحجتهم أن الإيمان المُعتبر عند الله هو ما مات عليه الإنسان ، والإنسان لا يدرى ما يموت عليه ، ولا يدرى ما العاقبة ، فالإيمان المُعتبر إنما هو بموافاة الإنسان ربه ، وإذا كان الإنسان لا يدرى ما العاقبة (الخاتمة) ، فيجب عليه أن يستثنى ، ويقول : " أنا مؤمن إن شاء الله " .

وهذا المذهب يُنسب الى الصحابى عبد الله بن مسعود ﷺ

وحجة هذا المذهب ما يلى : –

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن المغيرة ، قال : قال رجل لأبي وائل : أسمعت عبد الله بن مسعود يقول : « من شهد أنه مؤمن ، فليشهد أنه في الجنة ؟ » قال : نعم . اهـــ (١)

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن واصل ، قال : سمعت إبراهيم ، يحدث قال : قال رجل عند عبد الله بن مسعود : إنى مؤمن ، فقال عبد الله : « قل إنى فى الجنة » . اهـــ (٢)

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ شَقِيقًا يَقُولُ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ : سَمِعْتَ ابْنَ مَسْعُودٍ ، يَقُولُ : " إِنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلْيَشْهَدْ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ ؟ "، قَالَ : " نَعَمْ " . اهـــ (٣)

* وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

(أذهب إلى حديث ابن مسعود فى الاستثناء فى الإيمان ؛ لأن الإيمان قول وعمل ، والعمل الفعل ، فقد جئنا بالقول ، ونخشى أن نكون قد فرطنا فى العمل ؛ فيُعجبنى أن نستثنى فى الإيمان ، نقول: أنا مؤمن إن شاء الله) . اهـــ (٤)

قلت (على بن شعبان) : وهذا استدلال فى غير محله من الامام أحمد ، لان ابن مسعود مذهبه الموافاة ، ولا علاقة لمذهب الموافاة بمذهب العمل الذى يتبناه الامام أحمد بن حنبل .

وأما الجواب عن ما ورد عن الصحابى عبد الله بن مسعود أى مذهب الموافاة فسيأتى بيان كل ذلك فى موضعه فى المطلب القادم فى صفحة رقم (٨٢)

---

(١) تهذيب الاثار للطبرى ١٩٩٣

(٢) تهذيب الاثار للطبرى ١٩٩٥

(٣) تهذيب الاثار للطبرى ١٩٩٩

(٤) السنة لابى بكر الخلال ٦٦٧

المطلب السادس

ذكر جميع أدلة أهل العلم فى تجويز الاستثناء فى الايمان والرد على شبهاهم بمُحكم الكتاب والسنة وأقوال الصحابة واللغة العربية والاصول العلمية

١ – أقوى الادلة عندهم قول الله " لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ " الفتح ٢٧

قال الامام الاجرى رحمه الله : " وقد علم عز وجل أهم داخلون " . اهـ (١)

أى انه يقصد ان الله مع علمه بدخولهم الا انه استثنى وعلق مشيئته على الدخول

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

والرجل قد يقول والله ليكونن كذا ان شاء الله وهو جازم بأنه يكون فالمعلق هو الفعل كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله والله عالم بأهم سيدخلونه . اهـ (٢)

قال ابن حبان رحمه الله :

على أن اللغة تسوغ إباحة الاستثناء فى الشيء المستقبل وإن لم يشك فى كونه لقوله عز وجل : { لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ } . (٣)

قلت (على بن شعبان) : وهذا كذب أصلع على اللغة العربية ، وعلى الُمدعى البينة ، فاللغة العربية ليس فيها أبداً تعليق المشيئة على الماضى والحاضر ولا على الُمستقبل اليقينى .

وأما عن تفسير الاية { لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ } فهم فسروها بخلاف ما أراده الله ورسوله وبخلاف فهم الصحابة وبخلاف قواعد اللغة العربية والاصول ، فتعليق المشيئة هنا أو كما يقولون الاستثناء فى الاية ليس من الله سبحانه وتعالى ، بل تعليق المشيئة من الملك الذى حكى الرؤيا للنبى محمد ، والنبى حكى الرؤية التى رآها لاصحابه كما هى ، وتعليق المشيئة على ميعاد الدخول لانه لا يعلم ميعاد الدخول ، وعلق المشيئة تنفيذا لاوامر الله كما فى قوله (ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) فنفذ الامر لان الدخول مُستقبل وليس حاضر ، وتعليق المشيئة ليس على الدخول ولكن على وقت الدخول .

وقد أخبر الله بهذه الرؤية تصديقاً لرسوله ، فظن هولاء العلماء الذين يقولون ببدعة الاستثناء فى الايمان او الاستثناء على اليقين ان تعليق المشيئة من الله ، وهذا خطأ منهم واضح جداً ، دل على ذلك سياق النص واللغة ، وكذلك تفسير الاكابر من مُفسرى القران وأهل اللغة من لدن التابعين الى عصرنا ، وإليكم بيان ذلك : –

---

(١) الشريعة ٢ / ٦٥٧ لـ الاجرى المتوفى ٣٦٠ هـ ، ط / دار الوطن – الرياض / السعودية

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣ / ٤٦

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٣ / ٣٢١ ، لابن حبان البستى المتوفى ٣٥٤ ، ط / مؤسسة الرسالة – بيروت

نزلت الآية بعد ما دخلوا فى العام الثانى { لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام } يعنى : ما أخبر أصحابه أنهم يدخلون المسجد الحرام { فَلَمَّا دَخَلُواْ على يُوسُفَ } يعنى : لتدخلن { فَلَمَّا دَخَلُواْ على يُوسُفَ } يعنى : بإذن الله ، وأمره .

ويُقال : هذا اللفظ حكاية الرؤيا وذلك أن النبى ﷺ حين رأى فى المنام ، رأى كأن ملكاً ينادى وهو يقول : لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ، فأنزل الله تعالى { لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق } وهو قول الملك { لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إن شَاء الله ءامِنِينَ } من العدو { مُحَلّقِينَ * رُءوسَكُمْ وَمُقَصّرِينَ } يعنى : منهم من يحلق ، ومنهم من يقصر { لاَ تخافون } العدو { فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ } قال مقاتل : فعلم أن يفتح عليهم خيبر قبل ذلك ، فوعد لهم الفتح ، ثم دخول مكة ، ففتحوا خيبر ، ثم رجعوا ، ثم دخلوا مكة ، وأتوا عمرة القضاء . وقال الكلبي فى قوله : { فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ } يعني : علم الله أنه سيكون في السنة الثانية ، ولم تعلموا أنتم ، فلذلك وقع في أنْفسكم ما وقع { فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً } يعني : فتح خيبر . اهـــ (١)

قال ابن كيسان : قوله : لَتَدْخُلُنَّ من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه ، فأخبر الله تعالى عن رسوله أنّه قال ذلك ، ولهذا استثنى تأدّبا بأدب الله تعالى حيث قال له : وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ . اهـــ (٢)

قال مجاهد : " رآى النبي ﷺ فى نومه بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين ، فقال أصحابه حين نحروا بدنهم بالحديبية : أين رؤيا محمد ﷺ ؟ قال ابن زيد : قال النبى لأصحابه : إني رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رءوسكم ومقصرين " فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون فى ذلك ، وقالوا اين رؤياه ؟ !!
فأنزل الله { لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرءيا بالحق } فأعلمهم أنهم سيدخلون من غير ذلك العام ، وأن رؤيا محمد حق .
وقوله : { إِن شَآءَ الله آمِنِينَ }. فحكى ما جرى فى الرؤيا من قول الملك له فى منامه .

وقيل : إنما جرى لفظ الاستثناء لأنه خوطب فى منامه على ما أدبه الله به فى قوله : { وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذلك غَداً * إِلاَّ أَن يَشَآءَ الله } الكهف ٢٣ ، ٢٤ فخوطب فى منامه ، وأخبر بها يلزمه . اهـــ (٣)

قوله تعالى : { لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ } المفسرون يجعلون هذا تفسير رؤياه وشرح ما رأى ، ومقاتل يجعل هذا ابتداء إخبار عن الله تعالى أخبر المؤمنين أنهم يدخلونه فقال : (لتدخلن) ، يعني : العام المقبل ، وابن كيسان يجعل هذا الكلام خبراً عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك لأصحابه والتقدير فقال : " لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " والاستثناء بالمشيئة على هذا القول حسن لأنه من كلام رسول الله . اهـــ (٤)

---

(١) بحر العلوم ٣ / ٣٠٤ ، لـــ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندى المتوفى ٣٧٣ هـــ ، ط / دار الفكر – بيروت
(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٩ / ٦٤ ، للثعلبى المتوفى ٤٢٧ هـــ ، ط / دار إحياء التراث العربى ، بيروت – لبنان
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره ، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ١١ / ٦٩٦٩ لـــ أبو محمد مكى بن أبي طالب حَمّوش الأندلسى المتوفى ٤٣٧ هـــ ، ط / مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة
(٤) التَّفْسِيرُ البَسِيْط ٢٠ / ٣٢٢ لـــ الواحدى النيسابورى المتوفى ٤٦٨ هـــ ، ط / عمادة البحث العلمى – جامعة الإمام محمد بن سعود

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ ، أخبر أن الرؤية التي أراها إياه فِي مَخْرَجِهِ إِلَى الْحُدَيْبِيَةِ أَنَّهُ يَدْخُلُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ صِدْقٌ وَحَقٌّ ، قَوْلُهُ لَتَدْخُلُنَّ يَعْنِي وَقَالَ: لَتَدْخُلُنَّ .

وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ : لَتَدْخُلُنَّ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ حِكَايَةً عَنْ رُؤْيَاهُ ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا اسْتَثْنَى مَعَ عِلْمِهِ بِدُخُولِهَا بِإِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى ، تَأَدُّبًا بِآدَابِ اللَّهِ ، حَيْثُ قال له : " وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً () إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ " الكهف ٢٣ ، ٢٤ . اهـــ (١)

قال الزمخشرى : فإن قلت : ما وجه دخول إنْ شاءَ اللَّهُ فى أخبار الله عز وجل ؟ قلت : فيه وجوه :

أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك ، متأدّبين بأدب الله ، ومقتدين بسنته .

وأن يريد : لتدخلنّ جميعا إن شاء الله ولم يمت منكم أحدا .

أو كان ذلك على لسان ملك ، فأدخل الملك إن شاء الله .

أو هى حكاية ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه وقصّ عليهم .

وقيل : هو مُتعلق بآمنين فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل . اهـــ (٢)

وفى قوله : إِنْ شاءَ اللَّهُ ستة أقوال :

أحدها : أن « إن » بمعنى « إذ » ، قاله أبو عبيدة ، وابن قتيبة .

والثانى : أنه استثناء من الله ، وقد عَلِمه ، والخَلْق يستثنون فيما لا يَعْلَمون ، قاله ثعلب فعلى هذا يكون المعنى أنه عَلِم أنهم سيدخُلونه ، ولكن استثنى على ما أُمر الخَلْق به من الاستثناء .

والثالث : أن المعنى : لتدخُلُنَّ المسجد الحرام إن أمركم الله به ، قاله الزجاج .

والرابع : أن الاستثناء يعود إلى دخول بعضهم أو جميعهم ، لأنه عَلِم أن بعضهم يموت ، حكاه الماوردى .

والخامس : أنه على وجه الحكاية لما رآه النبيّ ﷺ فى المنام أن قائلاً يقول : « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ » ، حكاه القاضى أبو يعلى .

والسادس : أنه يعود إلى الأمن والخوف ، فأمّا الدُّخول فلا شَكَّ فيه ، حكاه الثعلبى . اهـــ (٣)

لَتَدْخُلُنَّ " أَيْ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ" الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ " ، قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ : إِنَّهُ حِكَايَةُ مَا قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي مَنَامِهِ ، خُوطِبَ فِي مَنَامِهِ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ ، وَلِهَذَا اسْتَثْنَى تَأَدَّبَ بِأَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ تَعَالَى : " وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ " الكهف٢٣ ، ٢٤ .

وَقِيلَ : خَاطَبَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يقولوه ، كما قال " وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ " .

وَقِيلَ : اسْتَثْنَى فِيمَا يَعْلَمُ لِيَسْتَثْنِيَ الْخَلْقُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ ، قَالَهُ ثَعْلَبٌ .

وَقِيلَ : كَانَ اللَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ يُمِيتُ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ فَوَقَعَ الِاسْتِثْنَاءُ لِهَذَا الْمَعْنَى ، قَالَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤ / ٢٤٤ ، لـــ أبو محمد الحسين البغوى المتوفى ٥١٠ هـــ ، ط / دار إحياء التراث العربى بيروت

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤ / ٣٤٥ للزمخشرى المتوفى ٥٣٨ هـــ ، ط / دار الكتاب العربى – بيروت

(٣) زاد المسير فى علم التفسير ٤ / ١٣٧ ـــ أبو الفرج ابن الجوزى المتوفى ٥٩٧ هـــ ، ط / دار الكتاب العربى – بيروت

وَقِيلَ : الِاسْتِثْنَاءُ مِنْ " آمِنِينَ " ، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى مُخَاطَبَةِ الْعِبَادِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ .
وَقِيلَ : مَعْنَى" إِنْ شاءَ اللَّهُ " إِنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالدُّخُولِ .
وَقِيلَ : أَيْ إِنْ سَهَّلَ اللَّهُ .
وَقِيلَ : " إِنْ شاءَ اللَّهُ " أَيْ كَمَا شَاءَ اللَّهُ . اهـ (١)

{ إِن شَاءَ الله } تعليق للعدة بالمشيئة تعليماً للعباد ، أو إشعاراً بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا ، أو النبي ﷺ لأصحابه . اهـ (٢)

لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ وقيل: لتدخلن من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عز وجل أن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ قيل : إنما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الأدب وتأكيدا لقوله : { لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام } وعلى الأول هو جواب قسم محذوف { إِن شَآءَ الله } حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لأصحابه وقص عليهم ، أو تعليم لعباده أن يقولوا فى عداقم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته { ءَامِنِينَ } حال والشرط معترض { مُحَلِّقِينَ } حال من الضمير فى { ءَامِنِينَ } { رُءُوسَكُمْ } أى جميع شعورها { وَمُقَصِّرِينَ } بعض شعورها { لاَ تخافون } حال مؤكدة { فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ } من الحكمة فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل { فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ } أي من دون فتح مكة { فَتْحاً قَرِيباً } وهو فتح خيبر . اهـ (٣)

« ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله » قيل : إن بمعنى إذ مجازه إذ شاء الله .
وقيل : لما لم يقع الدخول فى عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال : لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وإرادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى . اهـ (٤)

إِنْ شاءَ اللَّهُ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك فى الأمر ، وذلك محال على الله ، اختلف فى هذا الاستثناء على خمسة أقوال :
الأول : أنه استثناء قاله الملك الذى رآه النبي ﷺ فى المنام ، فحكى الله مقالته كما وقعت
والثانى : أنه تأديب من الله لعباده ليقولوا إن شاء الله فى كل أمر مستقبل
والثالث : أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له
والرابع : أن الاستثناء راجع إلى قوله آمنين لا لدخول المسجد
والخامس : أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة . اهـ (٥)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن المسمى بـ تفسير القرطبي ١٦ / ٢٩٠ للقرطبي المتوفى ٦٧١ هـ ، ط / دار الكتب المصرية – القاهرة
(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل لـ ناصر الدين الشيرازى البيضاوى المتوفى ٦٩١ هـ ٥ / ٢٠٨ ، ط / دار الفكر – بيروت
(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣ / ٣٤٣ ، للنسفى المتوفى ٧١٠ هـ ، ط / دار الكلم الطيب بيروت
(٤) لباب التأويل فى معانى التنزيل ٤ / ١٧١ للخازن المتوفى ٧٤١ هـ ، ط / دار الكتب العلمية – بيروت
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٢٩١ ، لـ ابن جزي الكلبى الغرناطى المتوفى ٧٤١ هـ ، ط / شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت

وَتَعْلِيقُهُ على المشيئة قِيلَ : لِأَنَّهُ حِكَايَةُ قَوْلِ الْمَلَكِ لِلرَّسُولِ ﷺ ، قَالَهُ ابْنُ كَيْسَانَ .
وَقِيلَ : هَذَا التَّعْلِيقُ تَأَدُّبٌ بِآدَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنْ كَانَ الْمَوْعُودُ بِهِ مُتَحَقِّقَ الْوُقُوعِ ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى : وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ ، وَقَالَ ثَعْلَبٌ : اسْتَثْنَى فِيمَا يَعْلَمُ لِيَسْتَثْنِيَ الْخَلْقُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ . اهــ (١)

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُرِيَ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ وَطَافَ بِالْبَيْتِ فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا سَارُوا عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ لَمْ يَشُكَّ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا تَتَفَسَّرُ هَذَا الْعَامَ ، فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ قَضِيَّةِ الصُّلْحِ وَرَجَعُوا عَامَهُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابَلَ ، وَقَعَ فِي نُفُوسِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، حَتَّى سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ : أَفَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : " بَلَى ، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامَكَ هَذَا " قَالَ : لَا قَالَ : " فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ " . وَبِهَذَا أَجَابَ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَيْضًا حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ } وَهَذَا لِتَحْقِيقِ الْخَبَرِ وَتَوْكِيدِهِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ فِي شَيْءٍ . اهــ (٢)

قال ابن كيسان : لَتَدْخُلُنَّ من قوله رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه ، فأخبر الله عن رسوله أنه قال ذلك ، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى تأدباً بأدب الله حيث قال { وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ... } الاية . اهــ (٣)

{ لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ } حقق الله لرَسُوله { الرُّؤيَا بِالْحَقِّ } بالصّدق حَيْثُ قَالَ النبي ﷺ لأَصْحَابه { لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِد الْحَرَام إِن شَآءَ الله آمِنِينَ } من الْعَدو { مُحَلِّقِينَ رؤوسكم وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ } من الْعَدو فوق الله على مَا قَالَ النبي ﷺ لأَصْحَابه { فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ } فَعلم الله أَن يكون إِلَى السّنة الْقَابِلَة وَلم تعلموا أَنْتُم ذَلِك { فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِك } من قبل ذَلِك { فَتْحاً قَرِيباً } سَرِيعا يَعْنِي فتح خَيْبَر . اهــ (٤)

وفى قوله " إن شاء الله " أقوال :
فقيل هل هو مما خوطب العباد أن يقولوه مثل الآية والاستثناء لمن مات منهم قبل ذلك أو قتل أو هو حكاية لما قيل لرسول الله فى منامه . اهــ (٥)

واختلف فى معنى قوله ان شاء الله فى الآية فقيل : هى إشارة إلى أنه لا يقع شىء الا بمشيئة الله تعالى
وقيل : هى حكاية لما قيل للنبى ﷺ فى منامه
وقيل : هى على سبيل التعليم لمن أراد أن يفعل شيئا مُستقبلا كقوله ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله

---

(١) البحر المحيط فى التفسير ٩ / ٤٩٩ ، لابن حيان الأندلسى المتوفى ٧٤٥ هــ ، ط / دار الفكر – بيروت
(٢) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٣٥٦ لابن كثير الدمشقى المتوفى ٧٧٤ هــ ، ط / دار طيبة للنشر والتوزيع
(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٥٠٩ لــ سراج الدين عمر بن علي النعماني المتوفى ٧٧٥ هــ ، ط / دار الكتب العلمية – بيروت
(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١ / ٤٣٤ ، لــ الفيروزآبادى المتوفى ٨١٧ هــ ، ط / دار الكتب العلمية – لبنان
(٥) عمدة القارى شرح صحيح البخارى ٢٤ / ١٣١ ، لــ بدر الدين العينى الحنفى المتوفى ٨٥٥ هــ ، ط / دار إحياء التراث العربى – بيروت

وقيل : هى على سبيل الاستثناء من عموم المخاطبين لأن منهم من مات قبل ذلك أو قتل . اهـ (١)

وقوله : " إِنْ شاءَ اللَّهُ " اخْتُلِفَ فى هذا الاستثناء . اهـ (٢)

{ لتدخلن المسجد الحرام } وعلى الأول هو جواب قسم محذوف { إن شاء الله } حكاية من الله تعالى قول رسوله لأصحابه وقصه عليهم ، أو تعليم لعباده أن يقولوا فى عداقم مثل ذلك مُتأدّبين بأدب الله ومُقتدين بسنته . اهـ (٣)

وفيه وجه اخر وهو انه حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله فقوله لتدخلن الآية تفسير للرؤيا كأنه قيل هو قول الملك له ﷺ فى منامه لتدخلن واذا كان التعليق من كلام الملك لتبرك فلا اشكال او حكاية لما قاله ﷺ لاصحابه كانه قبل قال النبى بناء على تلك الرؤيا التى هى وحى لتدخلن الخ بنى لما قص رؤياه على اصحابه . اهـ (٤)

" لتدخلن المسجد إن شاء الله " وهو تعليق للعِدة بالمشيئة لتعليم العباد ، قال ثعلب : استثنى الله فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون ، وقال فى القوت : استثنى الله مُعلماً لعباده ورَادّاً لهم إلى مشيئته وهو أصدقُ القائلين وأعلمُ العالمين .
أو : للإشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك
أو : هو حكاية لِما قاله ملَك الرؤيا لرسول الله ﷺ ، أو لما قاله ﷺ لأصحابه حين قصّ عليهم . اهـ (٥)

وقال ابن كيسان : لتدخلن من قول رسول الله ﷺ لاصحابه حكاية عن روياه فاخبر الله تعالى عن رسوله انه قال ذلك وجاز ان يكون من قول ملك الرؤيا حكاه الله تعالى وعلى التقديرين تقييده إِنْ شاءَ اللَّهُ مع كون الرسول ﷺ والملك على يقين منه تادبا بآداب الله تعالى حيث قال الله تعالى ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله . اهـ (٦)

قوله سبحانه: إِنْ شاءَ اللَّهُ تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد ....
وقيل : هو حكاية لما قاله ملك الرؤيا له ﷺ وإليه ذهب ابن كيسان
أو لما قاله هو عليه الصلاة والسلام لأصحابه ، ورده صاحب التقريب بأنه كيف يدخل فى كلامه تعالى ما ليس منه بدون حكاية ؟!! ودُفع بأن المراد أن جواب القسم بيان للرؤيا وقائلها فى المنام الملك وفى اليقظة الرسول ﷺ فهى فى حكم المحكى فى دقيق النظر كأنه قيل : وهى قول الملك أو الرسول لتدخلن ... إلخ ، وأنت تعلم أن هذا وإن صحح النظم الكريم لا يدفع البعد ، وقد اعترض به على ذلك صاحب الكشف لكنه ادعى أن كونه حكاية ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام أقل بعدا من جعله من قول الملك . اهـ (٧)

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٨ / ١٣٥ لابن حجر العسقلانى ٨٥٢ هـ ، ط / دار المعرفة بيروت
(٢) الجواهر الحسان فى تفسير القرآن ٥ / ٢٦٠ ، لـ الثعالبى المتوفى ٨٧٥ هـ ، ط / دار إحياء التراث العربى - بيروت
(٣) إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى ١٠ / ١٢٣ لـ أحمد بن محمد القسطلانى المتوفى ٩٢٣ هـ ، ط / المطبعة الكبرى الأميرية ، مصر
(٤) روح البيان في تفسير القرآن ٩ / ٥٣ ، لـ إسماعيل حقى المتوفى ١١٢٧ هـ ، ط / دار الفكر – بيروت
(٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٥ / ٤٠٦ لابن عجيبة المتوفى ١٢٢٤هـ ، ط / دار الكتب العلمية – بيروت
(٦) التفسير المظهرى ٩ / ٣٥ لـ المظهرى محمد ثناء الله المتوفى ١٢٢٥ هـ ، ط / مكتبة الرشدية – الباكستان
(٧) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ١٣ / ٢٧٤ لـ الألوسى المتوفى ١٢٧٠هـ ، ط / دار الكتب العلمية - بيروت

وقوله " لَتَدْخُلُنَّ " جواب قسم محذوف ، أى : والله لتدخلن .

وقوله " إنْ شاءَ اللَّهُ " تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد أو للإشعار بأن بعضهم لا يدخل ، فهو فى معنى : ليدخلنّه من شاء الله دخوله منكم

أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا ، أو النبى ﷺ لأصحابه . اهـ (١)

مَعْنَى لَتَدْخُلُنَّ تَحْقِيقُ دُخُولِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَيُعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ الرُّؤْيَا إِخْبَارٌ بِدُخُولٍ لَمْ يُعَيَّنْ زَمَنُهُ فَهِيَ صَادِقَةٌ فِيمَا يَتَحَقَّقُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَهَذَا تَنْبِيهٌ لِلَّذِينَ لَمْ يَتَفَطَّنُوا لِذَلِكَ فَجَزَمُوا بِأَنَّ رُؤْيَا دُخُولِ الْمَسْجِدِ تَقْتَضِي دُخُولَهُمْ إِلَيْهِ أَيَّامَئِذٍ وَمَا ذَلِكَ بِمَفْهُومٍ مِنَ الرُّؤْيَا وَكَانَ حَقُّهُمْ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّهَا وَعْدٌ لَمْ يُعَيَّنْ إِبَّانَ مَوْعُودِهِ ، وَقَدْ فَهِمَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ إِذْ قَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْمَنَامَ لَمْ يَكُنْ مُوَقَّتًا بِوَقْتٍ وَأَنَّهُ سَيَدْخُلُ . اهـ (٢)

" إن شاء الله " هل هذا الإستثناء من جملة ما رآه النبى ﷺ فى منامه فأعاده كما سمعه فى الرؤية ويكون هذا تعليماً من الله عز وجل للمؤمنين أن يقولوا مثله فى كل ما هو مستقبل من الأقوال والأعمال أو قاله رسول الله ﷺ عملا بقول الله تعالى : { وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ } . اهـ (٣)

ولعل سائلا يسأل ويقول : الله خالق الأشياء كلها وعالم بها قبل وقوعها فكيف وقع التعليق بالمشيئة فى فعله ؟

الجواب : أنه تعليم للعباد ، وإيذان بأن منهم من يدخل ومنهم من يتخلف لموت أو مرض

ولعل هذا التعليق " إن شاء الله " حكاية لما قاله ملك الرؤيا

أو حكاية كلام النبى لأصحابه ، وإيذان بأن دخولهم مكة بأمر الله ومشيئته لا بشىء آخر . اهـ (٤)

وإن شرطية وشاء الله فعل الشرط والجواب محذوف لدلالة ما قبله، وفي تعليق بالوعد بالمشيئة مع أنه تعالى خالق للأشياء كلها وعالم بها قبل وقوعها أقوال نلخصها فيما يلى :

١- أنه حكاية قول الملك للرسول ﷺ ، قاله ابن كيسان .

٢- هذا التعليق تأدب بآداب الله تعالى وإن كان الموعود به محقق الوقوع حيث قال تعالى « ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله » .

٣- وقال ثعلب استثنى فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون ، وزعم الكوفيون أن إن هنا بمعنى إذ التى تذكر لتعليل ما قبلها ، قالوا وليست شرطية لأن الشرط مستقبل وهذه القصة قد مضت . اهـ (٥)

---

(١) محاسن التأويل ٨ / ٥٠٦ لـ القاسمى المتوفى ١٣٣٢ هـ ، ط / دار الكتب العلميه – بيروت

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ٢٦ / ١٩٩ لـ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسى المتوفى ١٣٩٣هـ ، ط / الدار التونسية للنشر – تونس

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير ٥ / ١١٥ ، لـ أبو بكر الجزائرى (معاصر) ، ط / مكتبة العلوم والحكم ، المدينة بالسعودية

(٤) التفسير الواضح ٣ / ٤٩٤ لحجازى محمد محمود (معاصر) ، ط / دار الجيل الجديد – بيروت

(٥) إعراب القرآن وبيانه ٩ / ٢٥٣ لـ محيى الدين بن أحمد مصطفى درويش المتوفى ١٤٠٣هـ ، ط / دار ابن كثير – بيروت

فالحاصل من أقوال المُفسرين فى أية " لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ما يلى :-

أولاً : - اختلفوا فى من علق المشيئة هل هو الله ، أم ملك الرؤيا ، أم النبى محمد

ثانياً : - اختلفوا فى سبب تعليق المشيئة

وإليكم التحقيق لبيان الحق من الباطل فى كلا الامرين :-

أولاً :- من الذى علق المشيئة فى قوله " لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ "

اختلف المُفسرين فى تعليق المشيئة فى هذه الاية على ثلاثة أقوال :-

القول الاول : أن الذى علق المشيئة هو الله سبحانه وتعالى

القول الثانى : أن الذى علق المشيئة هو الملك الذى حكى الرؤية للنبى محمد فى المنام

القول الثالث : أن الذى علق المشيئة هو النبى محمد ﷺ حين أخبر أصحابه

فما هو الحق من هذه الاقوال ؟

هذا هو ما سابينه بالادلة والبراهين والله المُستعان

أقول (على بن شعبان) : ان الحق والصواب من هذه الاقوال هو القول الثانى والقول الثالث تبع له ، فالملك حكى الرؤية للنبى " لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ، والنبى أخبر أصحابه بالرؤية كما رآها " لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ، والدليل على ذلك ما يلى : -

قال تعالى (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) والسؤال الان : ما هى الرؤيا التى رآها النبى وصدقها الله ﷻ ؟

والجواب : الرؤية ذكرها الله فى نفس الاية فالرؤيا التى حدثت للنبى هى (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) ، فالرؤيا هى (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)
وهذه الرؤيا حكاها الملك للنبى محمد فى المنام ثم حكى النبى الرؤية كما هى لاصحابه كما سمعها من الملك (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) ، وأخبر الله بالرؤيا كما قالها الملك تصديقاً للنبى محمد .

وتأكد ذلك أيضاً فى السنة وفى حكاية الصحابة لما حدث ، فقد أخرج البخارى وغيره فى صلح الحديبية أن عمر بن الخطاب قال للنبى محمد : أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَا ، قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ . (١)

والشاهد سؤال عمر للنبى : " أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ ؟ " ، وهذا قبل نزول الاية ، والاية نزلت تصديقاً لحديث النبى لهم الذى ذكره عمر فى الحديث ، فالله أخبر عن هذا الحديث وصدقه ، وحديث النبى للصحابة كان : (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) ، فهذا هو الذى حدث ، وهذا هو الذى جاء به القران ، وجائت به السنة ، وأخبر عنه الصحابة ، وهذا هو الذى يتوافق مع الشرع واللغة والاصول

---

(١) البخارى ٢٧٣٤

ثانياً : ما هو سبب تعليق المشيئة على الدخول مع أنه واقع يقيناً لا محالة

قد يقول قائل : حتى لو ثبت أن تعليق المشيئة من قول الملك والنبى محمد ، وليس من كلام الله ،
ولكنه تعليق للمشيئة على يقين وهو دخول المسجد الحرام وهو يقين ، ومع ذلك فالنبى علق المشيئة على اليقين ،
فيبقى الاستشهاد بالاية على جواز الاستثناء على اليقين ، لان النبى استثنى على دخول المسجد الحرام وهو يقين .

قلت (على بن شعبان) : هذا الكلام غير مقبول لما يلى :-

اختلف أهل العلم من المُفسرين فى سبب تعليق المشيئة فى قوله تعالى (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) على عدة أقوال :

القول الاول : أن سبب تعليق المشيئة هو أن الله قال ذلك ليُعلم عباده ويؤدبهم ، فاستثنى فى ما يعلم ، ليستثنى العباد فى ما لا يعلمون (وهذا القول يؤيد أن تعليق المشيئة كان من الله ، وأن تعليق المشيئة على دخول المسجد الحرام)

القول الثانى : أن سبب تعليق المشيئة هو أن الملك الذى حكى الرؤية والنبى محمد لا يعلمان ميعاد الدخول ، فتعليق المشيئة على ميعاد وميقات الدخول لان هذا أمر غيبى لا يعلمه الا الله ، وليس على الدخول نفسه (وهذا القول يؤيد أن تعليق المشيئة كان من الملك الذى حكى الرؤية للنبى محمد فى المنام ، وأن تعليق المشيئة على ميعاد دخول المسجد الحرام)

القول الثالث : أن سبب تعليق المشيئة راجع على الامن ، لان من المسلمين من سيدخل المسجد الحرام بقتال غير آمِن

القول الرابع : أن سبب تعليق المشيئة راجع على الجمع فى الدخول ، لان الله قال (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) ومن الصحابة من سيموت قبل الدخول ، فاستثنى وعلق المشيئة لاجل ذلك

فما هو الحق من هذه الاقوال ؟

هذا هو ما سابينه بالادلة والبراهين والله المُستعان

أقول (على بن شعبان) : ان الحق والصواب من هذه الاقوال هو القول الثانى والقول الثالث والرابع تبع له
فالملك الذى حكى الرؤية للنبى أخبره أنه سيدخل المسجد الحرام هو وأصحابه ، وهذا يقين سيحدث لا محالة ،
ولكن الملك لا يعلم ميعاد الدخول والوقت الذى شاء الله فيه هذا الدخول فعلق المشيئة لاجل ذلك ، أى علق المشيئة على ميعاد الدخول ، والدليل على ذلك : -

ما أخرجه البخارى وغيره فى صلح الحديبية ، وفيه : أن عمر بن الخطاب قال للنبى محمد : أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَا ، قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ . (١)

والشاهد قول النبى لعمر بن الخطاب : " فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قَالَ : قُلْتُ لَا ، قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ "
فالنبى أكد لعمر أن دخول المسجد الحرام يقين لا شك فيه ، وذلك يتضح من قول النبى لعمر " فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ " ولم يُعلق النبى المشيئة على ذلك ، ولكن النبى وضح لعمر ﷺ الاشكال الذى حدث له ، وهو ميعاد الدخول

---

(١) البخارى ٢٧٣٤

فالنبى لم يكن يعلم ميعاد الدخول ولذلك بين له أنه لم يُحدد لهم ميعاد الدخول ، ولكنه أكد لهم أنهم سيدخلون يقينا لا محالة ولكن لا يعلم فى أى وقت ولاجل تلك العلة كان تعليق المشيئة من الملك الذى حكى الرؤيا للنبى محمد .
فلم يكن تعليق المشيئة من النبى على دخول المسجد الحرام ، بل كان تعليق المشيئة على ميعاد الدخول كما مضى بوضوح فى الحديث الذى دار بين النبى محمد والصحابى عمر بن الخطاب

وفى الحديث رد صريح على من نسب تعليق المشيئة على الدخول وليس ميعاد الدول ، وبيان ذلك : –

أولاً : أنه لو كان المقصود بتعليق المشيئة على دخول المسجد الحرام ، لكان النبى قصر فى شىء الله بينه له فى الاية كما يزعمون ، لانهم قالوا ان الله استثنى على اليقين الذى يعلمه ليعلم عباده واوهم النبى أن يستثنوا فى ما لا يعلمون ، والنبى لما تحدث مع عمر قال له " فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ " وجزم النبى ولم يذكر استثناء ولا أى شىء ، فلو كان المقصود فى تعليق المشيئة على دخول المسجد الحرام لاستثنى النبى هنا أيضاً ، ولكن تعليق المشيئة كان على ميعاد الدخول .

ثانياً : الله سبحانه وتعالى أوجب على النبى وعلى امته من بعده " تعليق المشيئة على الامور المُستقبلية غير اليقينية " وذلك فى قوله تعالى : " وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا () إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ " الكهف ٢٣ ، ٢٤

وهذا نهى صريح ليس له صارف يُفيد الالزام فى الفعل وينهى عن مُخالفة ذلك ، فالملك الذى حكى الرؤيا التزم ذلك الامر ، والنبى كذلك .

ثالثاً : فهم الصحابة للاية وقد نقل ذلك الفهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه
" وَقَدْ فَهِمَ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ إِذْ قَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْمَنَامَ لَمْ يَكُنْ مُوَقَّتًا بِوَقْتٍ وَأَنَّهُ سَيَدْخُلُ " . اهـــ (١)

قال عمر بن الخطاب ﷺ : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا ، إِذًا قَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، قُلْتُ : أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى ، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ . (٢)

رابعاً : من اُصول التفسير تفسير القران بالقران وتفسير القران بالسنة
ولو تتبعنا القران والسنة لوجدنا أن الله لم يُعلق المشيئة أبداً على شىء يقينى وكذلك النبى محمد لم يُعلق المشيئة أبداً على شىء يقينى ، وهذه بعض الامثلة على ذلك :

قال الله ﷻ : " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا " الاسراء ٧

---

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ٢٦ / ١٩٩ لـــ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسى المتوفى ١٣٩٣هـــ ، ط / الدار التونسية للنشر – تونس
(٢) البخارى ٢٧٣٤

ووجه الدلالة والشاهد هنا أن هذا دخول للمسجد وهذا دخول للمسجد ، ومع ذلك لم يستثنى الله سبحانه وتعالى ، فهذا دليل على ان القائل بتعليق المشيئة النبى وليس الله ، ولو كان الله هو الذى علق على الدخول هناك لعلق هنا ايضاً ، ودليل أيضاً على أن تعليق المشيئة لا يكون أبداً على " الامور المستقبلية اليقينية " .

خامساً : والذى يُرجح ان هذا كلام النبى ، ان الاية نزلت بعد الحديبية والنبى كان قد اخبرهم قبل الحديبية بالرؤيا " لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِد الْحَرَام إِن شَآءَ الله آمِنِين مُحَلِّقِينَ رؤوسكم وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ " ، فالصحابة كانوا يقولون له : ألم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به ونحلق رؤسنا ونقصر ، يعنى هو قص عليهم الرؤية التى ذكرها الله تصديقا لها فى الايات السابقة ، وفيها انهم يدخلون مكة ويطوفون بالمسجد الحرام محلقين ومقصرين ، ولذلك استغرب عمر وأُشكل عليه هو وبعض الصحابة ، عدم وقوع ذلك الخبر ، فبين له النبى أن ذلك يقين وأنه سيحدث لا محالة ولكن فى أى وقت يحدث هذا هو ما اختص الله بعلمه ، وذلك هو سبب نزول الاية ،وقد نقل ذلك الامام البخارى فى الصحيح ، قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ السُّلَمِيُّ ، حَدَّثَنَا يَعْلَى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سِيَاهٍ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ ، فَقَالَ : كُنَّا بِصِفِّينَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ : نَعَمْ ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ : اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ يَعْنِي النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ ، فَقَالَ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا ، فَقَالَ : " يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا " ، فَرَجَعَ مُتَغَيِّظًا ، فَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى جَاءَ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا ، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ .

فتبين بوضوح لا خفاء فيه أن :

١ – تعليق المشيئة ليس من الله ، بل من الملك الذى حكى الرؤية للنبى فى المنام والنبى نقل الرؤيا كما هى لاصحابه ، وبعد ذلك أخبر الله عن هذه الرؤيا كما حدثت تصديقاً لها .

٢ – تعليق المشيئة فى الاية على ميعاد الدخول للمسجد الحرام ، وليس للدخول نفسه ، لان الدخول الى البيت يقين لا شك فيه ، ولا يجوز تعليق المشيئة على اليقين حتى ولو كان غيبى

فبطل استدلالهم بهذه الاية ، ولا حجة لهم فيها ، بل فهموها على غير ما أراد الله ورسوله وبخلاف قواعد اللغة وبخلاف الاصول ، والحمد لله أولاً وأخراً أن وفقنى فى بيان هذا الحق ، ورد شبهات القوم .

---

(١) البخارى ٤٨٤٤

٢ – واستدلوا بقول الله " وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ " المؤمنون ٦٠

قالوا : وبيان الاية فسره النبى فى السنة :

حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ الْهَمْدَانِيِّ ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ ؟ قَالَ : " لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ "

قَالَ : وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ هَذَا . (١)

قال ابن بطة فى الابانة : " فَلَمَّا أَنْ لَزِمَ قُلُوبَهُمْ هَذَا الإِشْفَاقُ ، لَزِمُوا الاسْتِثْنَاءَ فِي كَلامِهِمْ ، وَفِي مُسْتَقْبَلِ أَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْ صِفَةِ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ : أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ : أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " . (٢)

قلت (على بن شعبان : وهذا حديث ضعيف ، لم يسمع عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ الْهَمْدَانِيِّ من عَائِشَةَ . (٣)

وقال عنه الدارقطنى : مرسل . (٤)

وللحديث طرق اخرى ضعيفة . (٥)

ولكن الحديث جاء من طريق اخر بسند صحيح

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الرَّازِيُّ ، قَالَ : نا عَمْرُو بْنُ رَافِعٍ أَبُو حَجَرٍ ، قَالَ : نا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرِ بْنِ سَلْمَانَ ، قَالَ : نا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْمُلائِيُّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، " وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ " ، أَهُمُ الَّذِينَ يُخْطِئُونَ وَيَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي ؟ فَقَالَ : " لا يَا عَائِشَةُ ، هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ " . (٦)

---

(١) سنن الترمذى ٣١٧٥ ، سنن ابن ماجة ٤١٩٨ ، مسند أحمد بن حنبل ٢٤٧٣٤ ، ٢٥١٧٦ ، المستدرك على الصحيحين ٣٤١٨ ، معرفة السنن والآثار للبيهقى ٦١٥٩ ، شعب الايمان للبيهقى ٧٣٢ ، مسند اسحاق بن راهويه ١٦٤٣ ، مسند الحميدى ٢٧٧ ، المعجم الاوسط للطبرانى ٣٩٦٥ ، الابانة الكبرى لابن بطة ٦٨١ ، تهذيب الكمال للمزى ١٨٩٩ ، معانى الاخيار للكلاباذى ٢٤ ، صفوة التصوف ٣٤٣ ، الرسالة القشيرية ١٤ ، تفسير البغوى ٨٢٩ ،

(٢) الابانة الكبرى لابن بطة ٢ / ٨٦٤ ، برقم ١١٧٥ ، ط / دار الراية بالرياض السعودية

(٣) الجرح والتعديل برقم ١١٣٠ لـ ابن ابى حاتم الرازى ، ط / دار احياء التراث العربى بيروت ، جامع التحصيل فى أحكام المراسيل ١ / ٢٢٢ برقم ٤٢٩ للحافظ العلائى ، ط / عالم الكتب – بيروت

(٤) علل الدارقطنى ١١ / ١٩٣ سؤال رقم ٢٢١٦ ، ط / دار طيبة الرياض بالسعودية

(٥) مسند ابى يعلى الموصلى ٤٩١٧ و جامع البيان عن تاويل اى القران ٢٣٣٧٧ ، وعلته : ليث بن أيمن بن زنيم وهو ضعيف وجهالة من حدث عن عائشة ، وجاء من طريق اخر مع اختلاف الالفاظ فى تفسير مجاهد ١٠٧٤ ، وعلته : عبد الرحمن بن الحسن الأسدى وهو متهم بالكذب وهشيم بن بشير السلمى مدلس وقد عنعن

(٦) المعجم الاوسط للطبرانى ٣٩٦٥ بسند صحيح

والحديث حجة عليهم لما يلى : –

النبى محمد والصحابة أفضل منهم فى كل شيء ، وهم أولى الناس بتطبيق القران عملياً ، ومع ذلك لم يدفعهم هذا الوجل وخشية عدم التقبل ، إلى التلفظ ببدعة الاستثناء فى الايمان ، بل سمعوا أية المؤمنون " وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ " ولم يقولوا أنا مؤمن ان شاء الله ، وليس هناك اى مانع يمنعهم من التلفظ بتلك البدعة أى بدعة الاستثناء فى الايمان ، فوجود الدافع للفعل وعدم وجود مانعمن الفعل أى ما يُسمى بـــ (السنة التركية) يجعل التلفظ بذلك من المحرمات ، لانه استدراك على النبى والصحابة

وكلامهم مردود من عدة وجوه منها : –

الوجه الاول : إلزام صحيح ، وقياس جلى صحيح ، لم ولن يقولوا به !!!

قلت (على بن شعبان) : هم يقولون نقول (أنا مؤمن ان شاء الله) لاننا لا نعلم هل تقبل الله أعمالنا أم لا ؟

فيلزمهم أيضاً أن يقولوا أنا مُسلم ان شاء الله لانهم لا يعلمون هل قبل الله إسلامهم أم لا !!

ويلزمهم اذا سئلهم أحد هل أمنتم بالرسل والكتب ؟ أن يقولوا أمنا إن شاء الله لانهم لا يعلمون هل قبل الله إيمانهم بالرسل والكتب أم لا !!

ويلزمهم أذا سئلهم أحد هل صمتم ؟ أن يقولوا صمنا ان شاء الله !! ، لانهم لا يعلمون هل قبل الله صيامهم أم لا

ويلزمهم أذا سئلهم أحد هل حججتم ؟ أن يقولوا حججنا ان شاء الله !! ، لانهم لا يعلمون هل قبل الله حجهم أم لا

ويلزمهم أذا سئلهم أحد هل أخرجتم الزكاة ؟ أن يقولوا أخرجنا زكاتنا ان شاء الله !! ، لانهم لا يعلمون هل قبل الله زكاتهم أم لا

فان قالوا : لا ، هذا لا يصح ولا يجوز !!

قلنا لهم يلزمكم هذا ، والا كان منعكم لذلك تناقض صريح ، وإتباع للهوى

وان قالوا نعم يصح ذلك !!

قلنا هذا منكم تضليل للنبى والصحابة لانهم لم يقولوا هذا أبداً ، مع وجود الدوافع (أى وجود الُمقتضى للفعل) ، ومع انتفاء الموانع ، ومع ذلك لم يقولوه أبداً ، فهل أنتم خيراً من النبى والصحابة ، وهل سبقتم النبى والصحابة الى فضل تركوه أو تنساه النبى والصحابة أو غفلوا عنه ؟ !!

والنبى والصحابة قالوا بخلاف ذلك وذكروا الصلاة والصدقة وسائر العبادات من الاعمال ومع ذلك لم يذكروا تلك الخُرافة الُمحدثة التى تُسمى بالاستثناء فى الايمان ، وإليكم بيان ذلك :–

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ : عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ الْمُقْرِئُ ابْنُ الْحَمَّامِيِّ بِبَغْدَادَ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ الْفَقِيهُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ عَنْ

أَبِيهِ قَالَ : صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ الْفَجْرَ بِمِنًى ، فَجَاءَ رَجُلاَنِ حَتَّى وَقَفَا عَلَى رَوَاحِلِهِمَا ، فَأَمَرَ بِهِمَا النَّبِىُّ ﷺ فَجِىءَ بِهِمَا تُرْعَدُ فَرَائِصُهُمَا ، فَقَالَ لَهُمَا : « مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تُصَلِّيَا مَعَ النَّاسِ ؟ أَلَسْتُمَا مُسْلِمَيْنِ » . قَالاَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا صَلَّيْنَا فِى رِحَالِنَا. فَقَالَ لَهُمَا : « إِذَا صَلَّيْتُمَا فِى رِحَالِكُمَا ثُمَّ أَتَيْتُمَا الإِمَامَ فَصَلِّيَا مَعَهُ ، فَإِنَّهَا لَكُمَا نَافِلَةٌ » . (١)

والشاهد أن الرجلين وهما من الصحابة قالا للنبى : **صَلَّيْنَا** ، ولم يذكرا خرافة الاستثناء أى تعليق المشيئة ، فلم يقولا صلينا ان شاء الله ومع ذلك لم يُنكر عليهما النبى واقرهما على قولهما

والسؤال هل النبى جهل ذلك ؟ !! حاش لله

هل النبى نسى ذلك ؟ !! حاش لله

هل أنتم أعلم من النبى فى ذلك ؟ !! حاش لله

هل أنتم أفضل من النبى والصحابة حتى تستدركوا عليهم ؟ !! حاش لله

فلا يسع أحد مُخالفة ما كان عليه النبى والصحابة والاستدراك عليهم ، لان لوازم ذلك تضليل للنبى والصحابة

وإليكم مثال أخر وأقوى فى الاستدلال : -

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الأَخْرَمُ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِىٍّ الْمُقْرِئُ قَالاَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شِيرُوَيْهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِى عُمَرَ حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ أَبِى حَازِمٍ الأَشْجَعِىِّ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا قَالَ :« فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا قَالَ : « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا قَالَ : « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا » . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « مَا اجْتَمَعْنَ فِى امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ » . (٢)

والشاهد أن أبا بكر لما سُئل أجاب أنا صمت وأنا أتبعت الجنازة وأنا تصدقت وأنا عُدت مريض ، وكل هذه من أعمال الجوارح ، ولم يعلم أبا بكر هل قبلها الله منه أم لا ، ومع ذلك لم يقل فى هذا كله ان شاء الله ، ولم يذكر تلك الخرافة والاسطورة المزعومة ، أى الاستثناء فى الايمان ، فلم يقل أبو بكر صمت ان شاء الله وتصدقت ان شاء الله ، والنبى أقره على ذلك ، ولم يُنكر عليه ، ولم يقل له أخطأت يا أبا بكر لانك لا تعلم هل قبل الله منك أم لا !!

والسؤال هل النبى جهل ذلك ؟ !! حاش لله

هل النبى نسى ذلك ؟ !! حاش لله

هل أنتم أعلم من النبى فى ذلك ؟ !! حاش لله

هل أنتم أفضل من النبى والصحابة حتى تستدركوا عليهم ؟ !! حاش لله

فلا يسع أحد مُخالفة ما كان عليه النبى والصحابة والاستدراك عليهم ، لان لوازم ذلك تضليل للنبى والصحابة

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى ٣٧٨٧ ، السنن الكبرى للنسائى ٩٣١ ، سنن ابى داود ٥٧٥ ، سنن الترمذى ٢١٩ ، مسلم ١٠٢٩

(٢) صحيح ابن خزيمة ١٩٩٤ وهو عند مسلم برقم ١٠٢٩ ولكن رواية ابن خزيمة صرح الفزارى بالسماع فيها

الوجه الثانى : ما يُقال فى الاعمال يُقال فى الاقوال والاعتقاد

يلزم من يقول ببدعة الاستثناء فى الايمان أنا مؤمن ان شاء الله لانه لا يدرى هل قبل الله عمله أم لا فــ يلزمه أن يقول : (أشهد أن لا إله إلا الله إن شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .
ويلزمه أن يقول : (أمنت بالله ورسوله ان شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .
ويلزمه أن يقول : (أمنت بالقدر خيره وشره ان شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .
ويلزمه أن يقول : (أمنت بالرسل والكتب ان شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .
ويلزمه أن يقول : (أمنت بالملائكة ان شاء الله) لانه لا يعلم هل قبل الله ايمانه فى ذلك أم لا .

فمن فرق بين الاعمال والاقوال والاعتقاد ، فليسئل الله أن يَمن عليه بقلب سليم خالى من الاهواء .

لان العلة واحدة وجامعة بينهم ، ألا وهى عدم معرفة القبول من الله .

* قال الامام الاجرى : هذا وطريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان ، عندهم أن الاستثناء في الأعمال ، لا يكون فى القول ، والتصديق بالقلب ، وإنما الاستثناء فى الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان . اهــ (١)

قلت (على بن شعبان) :

١ – قول الامام الاجرى طريق الصحابة افتراء على الصحابة ولم يقل صحابى واحد بتلك الخرافة (الاستثناء فى الايمان " أنا مؤمن إن شاء الله " والبينة على من ادعى فلياتنا احد بقول للنبى والصحابة قالوا مؤمن ان شاء الله) .
٢ – تفريقه بين القول والعمل والاعتقاد ليس عليه حجة غير اتباع الظن الذى انبنى بداية على ظن مثله
٣ – فهمه الخاطىء لمُصطلح " حقيقة الايمان " ، وقد أداه فهمه وسوء تعبيره للمُصطلحات إلى جعل عمل الجوارح كمالى فى الايمان ، مع العلم أنه يعتقد غير ذلك ، ولكن كما قلت أداه إلى ذلك فهمه وسوء تعبيره للمُصطلحات .

* روى الخلال فى السنة بسند صحيح عن أبي بكر بن حماد المقرى قال : وأخبرني بعض أصحابنا قال : سمعت أبا عبد الله (يعني أحمد بن حنبل) يقول : لو كان القول كما تقول المرجئة أن الإيمان قول ! ثم استثنى بعد على القول لكان هذا قبيحًا أن تقول : لا إله إلا الله إن شاء الله ، ولكن الاستثناء فى العمل . اهــ (٢)

قلت (على بن شعبان) : سبحان الله كيف يُجيز الامام أحمد لنفسه التحسين والتقبيح فى الدين بغير نص ؟ !!
يُجيز الاستثناء فى العمل ويُقبح الاستثناء فى القول ، أليس عند الامام أحمد يجوز الاستثناء على اليقين ؟ !!
أليس الاستثناء على اليقين عندهم جائز ؟ !! ، أم التخبط والتناقض والهوى يُقيدون المُطلق ويُخصصون العام ؟ !!
ولكن أبى الله أن يصح الا كلامه ، فصدق ربى اذ يقول " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا "

---

(١) الشريعة ٢ / ٦٥٧ لــ الاجرى المتوفى ٣٦٠ هــ ، ط / دار الوطن – الرياض السعودية
(٢) السنة ٣ / ٦٠١ برقم ١٠٦٧ لابى بكر الخلال ، ط / دار الراية الرياض بالسعودية

* قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " فعلم أن أحمد وغيره من السلف ، كانوا يجزمون ولا يشكون فى وجود ما فى القلب من الإيمان فى هذه الحال ، ويجعلون الاستثناء عائدًا إلى الإيمان المُطلق المُتضمن فعل المأمور . اهـ (١)

قلت (على بن شعبان) : سبحان الله أليس القول من المأمور والاعتقاد أيضاً من المأمورات ؟ !!

فما وجه التفريق بين مأمور ومأمور ؟ !!

وأيضاً أليس القول من الايمان المُطلق والاعتقاد من الايمان المُطلق ؟ !! فالايمان المُطلق يشمل الايمان المُقيد !!

أليس من استثنى على الايمان المُطلق يستثنى بذلك على الاقوال والاعتقادات ؟ !!

الوجه الثالث : كمال الايمان ليس فقط أعمال الجوارح

ليس كمال الايمان الواجب والمُستحب يقتصر فقط على أعمال الجوارح (عدا الصلوات الخمس المفروضة لانها من حقيقة الايمان) بل هناك من الاقوال والاعتقادات ما هو من كمال الايمان الواجب والمُستحب مثل :

" العلم بأحكام الفرائض من صيام وحج .... الخ " وهو من (الواجبات) وهو من قول القلب وهو من كمال الايمان

فيلزمهم أن يقولوا أنا تعلمت أحكام الصيام إن شاء الله وأحكام الزكاة إن شاء الله وهكذا لانهم لا يعلمون هل قبل الله هذا العلم الذى هو من كمال الايمان أم لا ، أو هل تعلموا هذا العلم على الوجه المأمور به أم لا .

و " حب الصحابة " فهو اعتقاد وهو من أعمال القلوب وهو من (الواجبات) وهو من كمال الايمان

فيلزمهم أن يقولوا أنا أُحب الصحابة إن شاء الله ، لان حب الصحابة من كمال الايمان ، وهم لا يعلمون هل قبل الله هذا الحب الذى هو من كمال الايمان أم لا ، أو هل أحبوا الصحابة على الوجه المأمور به أم لا .

و " التسبيح والاستغفار " فهو من قول اللسان وهو ليس من الاعمال وهو من كمال الايمان

فيلزمهم أن يقولوا " أستغفر الله إن شاء الله و سبحان الله إن شاء الله " ، لان الاستغفار والتسبيح من كمال الايمان ، وهم لا يعلمون هل قبل الله هذا الاستغفار والتسبيح الذى هو من كمال الايمان أم لا ، أو هل استغفروا وسبحوا على الوجه المأمور به أم لا .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧ / ٤٥٠

٣ – قول ابراهيم (أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا) الانعام ٨٠

أولاً : هذا استثناء مُكتمل الاركان لوجود أداة الاستثناء (إلا) وليس فقط تعليق مشيئة
ثانياً : الاستثناء وتعليق المشيئة على مُستقبل غيبى غير يقينى ، وليس على مُستقبل غيبى يقينى

فقوله تعالى : { وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً } أى لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربى أن يصيبنى منها بضر وتكون سبب بمشيئة الله ، لان الله قد يصيبه بشىء من قبلها على أنها سبب لا أنها هى التى فعلت وأرادت ، واتضح ذلك بما بعدها من الايات حيث قال : " وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا " ، فتعليق المشيئة على علم الغيب الذى لا يعلمه ابراهيم عليه السلام ، فقد يكون الله قدر ان يُصيب ابراهيم عليه السلام خوف بسب من الاسباب ، أو أن ابراهيم عليه السلام يقصد أن لا يثبت على الدين ويضل بعد ذلك فى المُستقبل ويخاف منها وكل ذلك فى علم الغيب الذى اُختص الله به ، ولذلك كان ابراهيم يستعيذ بالله من ذلك ويدعوا قائلاً : " واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام " ابراهيم ٣٥

فليس هذا باستثناء على يقين أبداً ، بل هو تعليق للمشيئة على غيب مُستقبلى غير يقينى ، غيب لا يعلمه الا الله والله يقول : " وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا () إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ " الكهف ٢٣ ، ٢٤

٤ – قول شعيب (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) الاعراف ٨٩

أولاً : هذا استثناء مُكتمل الاركان لوجود أداة الاستثناء (إلا) وليس فقط تعليق مشيئة
ثانياً : الاستثناء وتعليق المشيئة على مُستقبل غيبى غير يقينى ، وليس على مُستقبل غيبى يقينى

فالثبات على الدين غيب غير يقينى لا يعلمه الا الله ، ولذلك استثنى نبى الله شعيب ، فقد يرتد بعض اتباع نبى الله شعيب ويعود الى الكفر مرة اخرى ، فلذلك استثنى وعلق المشيئة ، لان هذا غيب لا يعلمه الا الله ، وهو لا يعلم هل سيثبت على الدين كل من هم معه أم سيعود بعضهم الى الكفر مرة اُخرى ، فالقلوب تتقلب فى المُستقبل ، وكان أنبياء الله يسئلوه الثبات على الدين

قال يوسف ﷺ " تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ " يوسف ١٠١

فمع انه نبى الا انه يسئل الله الثبات على الاسلام حتى الممات

وكذلك نبى الله محمد ﷺ كان يقول : " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " . (١)

---

(١) سنن الترمذى ٣٥٢٢ وصححه الالبانى

٥ – قول الله تعالى (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا) الحجرات ١٤

ففهموا منها ما يلى : –

فهموا من الاية أن الايمان درجة أعلى من الاسلام ، وأن المؤمن أفضل من المسلم ، ولذلك قالوا بالقاعدة الباطلة (كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن) وهذا كله خطأ سنبينه بالبراهين الشرعية من الكتاب والسنة

وقالوا أن بيان الاية وتفسيرها يتضح أكثر فى حديث سعد بن أبى وقاص ﷺ

٦ – حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسْمًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَوْ مُسْلِمٌ ، أَقُولُهَا ثَلَاثًا ، وَيُرَدِّدُهَا عَلَيَّ ثَلَاثًا ، أَوْ مُسْلِمٌ ، ثُمَّ قَالَ : " إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ " . (١)

قلت (على شعبان) : أما عن الاية فقد نزلت فى المنافقين ، والاية حجة عليهم وليست لهم لما يلى : –

١ – الله لم يُثبت لهم الاسلام أو الايمان فى الاية ، فقد قال الله لهم : " قُولُوا أَسْلَمْنَا " أى قوا فعلنا الاسلام المُقيد أى " الظاهر = الشهادتين والصلاة " أى أنه يأمرهم أن يقولوا هم ، ولم يُثبت الله فى الاية أنهم مُسلمين أو مؤمنين

٢ – الله سبحانه وتعالى أثبت كفر هولاء بوضوح لا خفاء فيه ولكن " ما حيلتى فى من يرى أن القبيح هو الحسن " وذلك يتضح فى أخر الاية لما قال تعالى " ولما يدخل الايمان فى قلوبكم " فنفى الله الايمان المُعرف بالالف واللام أى " حقيقة الايمان " فليس فى قلوبهم لا ايمان مُطلق ولا ايمان مقيد ، ومن خلا قلبه من الايمان وأظهر الاسلام فهو المنافق

٣ – المقصود من الاية هو بيان حال المُنافقين الذين أظهروا (الاسلام المُقيد = الظاهر = الشهادتين وأعمال الجوارح) وهذا وحده لا يَثبت به عقد الاسلام عند الله ، ولكن تجرى به الاحكام الظاهرة فى الدنيا فقط بين العباد
ولم يُظهروا (الايمان المُقيد = الباطن = أقوال وأعمال القلب من ايمان بالله وملائكته ورسله ..... الخ)
وهم مع ذلك كذبوا ، وجائوا الى النبى يزعمون الايمان فى الباطن والظاهر ، فكذبهم الله ، وقال لهم : لَّمْ تُؤْمِنُوا
أى لم تُحققوا (الايمان المُقيد = الباطن) فى القلب ، وأمرهم الله أن يصدقوا فى القول الذى حققوه فقط وهو (الاسلام المُقيد = الظاهر) ، ومع أنهم حققوا الاسلام المُقيد إلا ان الله لم يُثبت لهم الاسلام بذلك بل كفرهم فى أخر الاية ، وبين أنهم مُنافقين بقوله " وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ " .

وكذلك تكرر الامر فى حديث سعد لما قال للنبى : " أَعْطِ فُلَانًا فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ " ، والنبى لما أجابه لم يقصد بمُصطلح " الايمان " الايمان المُطلق الذى يشمل الدين (حقيقة الايمان وحقيقة الاسلام) ، بل النبى أراد الظاهر والباطن فالنبى أراد أن يُعلم الصحابى أن له الظاهر من الناس وليس له أن يحكم على الباطن لانه غيب لا يعلمه الا الله فنحن مأمورون أن نُجرى الاحكام على الناس بـــ الظاهر ونشهد لهم بذلك ، حتى ولو كان الباطن بخلاف ذلك ، فأمر النبى الصحابى سعد بن أبى وقاص أن يشهد بالظاهر ، ولا يشهد لاحد بالباطن لان هذا غيب لا يعلمه الا الله .

---

(١) مسلم ١٥٢

وقد جاء فى نهاية الحديث السبب الذى دعى النبى الى ذلك وهو قوله : " إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ " يعنى ليتالفهم بذلك ليثبتوا على الاسلام كما قال النبى للانصار : " تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا ، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ " . (١)

يعنى ليثبتوا على الاسلام

وأُكرر هنا أيضاً ذكر مدلولات الايمان والاسلام لاهميتها ، ولتعلقها بتفسير كلام الله ورسوله

الايمان فى الشرع جاء على معنيين :

١ – معنى عام مُطلق

٢ – معنى خاص مُقيد

أولاً : المعنى العام المُطلق لُمصطلح الايمان هو : التصديق باطناً وظاهراً وله أربعة أركان

(قول القلب ، عمل القلب ، قول اللسان ، عمل الجوارح)

وهذا المعنى هو هو دين الاسلام ، وهو هو التوحيد بشموله

ثانياً : المعنى الخاص المُقيد لُمصطلح الايمان هو : الباطن وله ركنين فقط وهما

(قول القلب ، عمل القلب)

وهذا المعنى هو الايمان فى حديث جبريل عليه السلام ، وهو هو توحيد الاثبات والمعرفة (الربوبية والاسماء والصفات) ، وهو المقصود هنا فى حديث سعد بن أبي وقاص

والايمان له قسمين : –

١ – حقيقة الايمان

٢ – كمال الايمان والكمال قسمين (كمال الايمان الواجب وكمال الايمان المُستحب)

فمُصطلح الايمان عند إطلاقه له معنى وهو يشمل الاسلام معه وعند التقييد له معنى أخر ولا يشمل الاسلام معه

الايمان العام المُطلق = الايمان المُقيد فى حديث جبريل والاسلام المُقيد فى حديث جبريل

الايمان الخاص المُقيد = الباطن = (قول القلب وعمل القلب) = الايمان فى حديث جبريل = الايمان المقصود فى حديث سعد بن أبي وقاص

---

(١) مسند احمد ١١٣٢٢

الإسلام شرعاً : هو إظهار الاستسلام والخضوع لله باتباع الشريعة الاسلامية

والإسلام فى الشرع جاء على معنيين :

١ – معنى عام مُطلق

٢ – معنى خاص مُقيد

المعنى العام المُطلق لمُصطلح الإسلام هو : دين الاسلام ، فالاسلام اسم عند إطلاقه يُراد به الدين بشموله

وهذا المعنى هو هو أركان الايمان الاربعة (قول القلب و عمل القلب و قول اللسان و عمل الجوارح)

وهو هو التوحيد بشموله (توحيد الاثبات والمعرفة وتوحيد العبادة)

المعنى الخاص المُقيد لمُصطلح الإسلام هو : الظاهر وله ركنين فقط وهما

(قول اللسان ، عمل الجوارح)

وهذا المعنى هو الاسلام فى حديث جبريل عليه السلام ، وهو هو توحيد العبادة (الالوهية) ، وهو المقصود هنا فى حديث سعد بن أبي وقاص

والاسلام له قسمين : –

١ – حقيقة الاسلام

٢ – كمال الاسلام والكمال قسمين (كمال الاسلام الواجب وكمال الاسلام المُستحب)

فمُصطلح الاسلام عند إطلاقه له معنى وهو يشمل الايمان معه وعند التقييد له معنى أخر ولا يشمل الايمان معه

الاسلام العام المُطلق = الايمان المُقيد فى حديث جبريل والاسلام المُقيد فى حديث جبريل

الاسلام الخاص المُقيد = الظاهر = (قول اللسان وعمل الجوارح) = الاسلام فى حديث جبريل = الاسلام المقصود فى حديث سعد بن أبي وقاص

قال الحافظ ابن رجب الحنبلى : فهذا الحديث محمول عند البخاري على أن هذا الرجل كان منافقا ، وأن الرسول ﷺ نفى عنه الإيمان وأثبت له الاستسلام دون الإسلام الحقيقي ، وهو – أيضا – قول محمد بن نصر المروزي .

ثم قال : والظاهر – والله أعلم – أن النبي ﷺ زجر سعدا عن الشهادة بالإيمان ؛ لأن الإيمان باطن في القلب لا اطلاع للعبد عليه ، فالشهادة به شهادة على ظن فلا ينبغي الجزم بذلك . اهـــ (١)

---

(١) فتح البارى ١ / ١٢١ ، ١٢٢ ، لابن رجب الحنبلى ، ط / دار ابن الجوزي – السعودية / الدمام

٧ – قول النبى للمريض " طهور إن شاء الله "

حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُخْتَارٍ ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ ، قَالَ : وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ ، قَالَ : " لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : قُلْتُ : طَهُورٌ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ أَوْ تَثُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَعَمْ إِذًا . (١)

قلت (على بن شعبان) : وهذا ليس بدعاء ، بل هو سؤالى استفهامى ، فالنبى محمد قد نهى عن تعليق المشيئة فى الدعاء كما عند البخارى قال حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ فَاعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ " . (٢)

فتعليق المشيئة فى الدعاء مُحرم لنهى النبى عن ذلك

والسؤال الان : هل هذا دعاء ؟ أم هو سؤال استفهامى ؟ وكيف لنا أن نُفرق بين هذا وهذا ؟

والجواب : ان الحديث واضح جداً فى أن كلام النبى مع الرجل المريض سؤال إستفهامى وليس بدعاء لما يلى : –

النبى يقول للرجل طهور ، أى لعله طهور أى كفارة ، ولانه غيب مُستقبلى غير يقينى على النبى قال ان شاء الله فأجابه الرجل المريض وقال : " كَلَّا " ، ولو كان الرجل فهم ان هذا دعاء من النبى له لآمن على الدعاء وقال آمين ووضح الرجل المريض للنبى العلة فى جوابه هذا ، وكذلك النبى اقره على ما قال فى نهاية حديثه بقوله : " فَنَعَمْ إِذًا "

والسكوت فى مقام البيان لا يجوز فى حق النبى محمد ، فلو كان الرجل مُخطئاً لما اقره النبى على ذلك .

---

(١) البخارى ٣٦١٦

(٢) البخارى ٧٤٦٤

٨ – قول الملائكة للميت " وعليه تُبعث إن شاء الله "

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ ، وَلَا مَشْعُوفٍ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ ؟ فَيَقُولُ : مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ ، وَيُقَالُ لَهُ عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ ، وَعَلَيْهِ مُتَّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَيُجْلَسُ الرَّجُلُ السُّوءُ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا ، مَشْعُوفًا ، فَيُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ، فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، فَيُقَالُ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُهُ ، فَيُفْرَجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ ، وَعَلَيْهِ مُتَّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ". (١)

قالوا : فمع يقين الملائكة فى البعث الا أنهم استثنوا وعلقوا المشيئة على يقين غيبي وهو البعث .

قلت (على بن شعبان : تعليق المشيئة هنا فى الحديث ليس كما فهموا أنه على البعث ، فهذا غيب مُستقبلى يقينى ، ولكن تعليق المشيئة على ميعاد البعث لانه غيب مُستقبلى غير يقينى اختص الله بعلمه ، فالله يقول : " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ " لقمان ٣٤

فتعليق المشيئة فى ميعاد البعث ووقته وليس على البعث نفسه ، ومما يؤكد ذلك ويُبينه نص الحديث نفسه

فالملائكة قالت للعبد المؤمن الصالح : " عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ "
ولو كان المُراد الاستثناء على اليقين لقالوا " عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ "

وقالت الملائكة للعبد المؤمن الصالح : " وَعَلَيْهِ مُتَّ " أى عَلَى الْيَقِينِ مُتَّ
ولو كان المُراد الاستثناء على اليقين لقالوا " وَعَلَيْهِ مُتَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ "

وقالت الملائكة للعبد الكافر : " عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ "
ولو كان المُراد الاستثناء على اليقين لقالوا " عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ "

وقالت الملائكة للعبد الكافر : " وَعَلَيْهِ مُتَّ " أى عَلَى الشَّكِّ مُتَّ
ولو كان المُراد الاستثناء على اليقين لقالوا " وَعَلَيْهِ مُتَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ "

---

(١) سنن ابن ماجه ٤٢٦٨ وصححه الالبانى

والثلاثة أحوال للمؤمن والكافر بينهما قاسم جامع مُشترك وهو اليقين والشك

فالمؤمن (١ – عاش على اليقين ٢ – ومات على اليقين ٣ – وسيُبعث على اليقين)

والكافر (١ – عاش على الشك ٢ – ومات على الشك ٣ – وسيُبعث على الشك)

فاذا كان المقصود التبرك بذكر المشيئة كما زعم البعض ، لكان ذلك فى الجميع ، وإلا ففيما تخصيص البعث ولقالت الملائكة أيضاً : " انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " ، ولقالت أيضاً : " هَذَا مَقْعَدُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ "

ولو كان المقصود من تعليق المشيئة هو الاستثناء على اليقين المُستقبلى فقط ، لان تعليق المشيئة يكون فى المُستقبل سواء كان يقينى أو غير يقينى كما يزعمون هم

نقول لو كان المقصود هو كذلك لقالت الملائكة : " انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " لان هذا غيب أيضاً ولقالت أيضاً : " هَذَا مَقْعَدُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ " لان هذا غيب

ولكن الملائكة لم تقول بذلك ، لان هذا غيب مُستقبلى يقينى حتماً سيحدثُ لا محالة ، وتعليق المشيئة انما يكون على الغيب المُستقبلى الغير يقينى كميعاد البعث (أى وقت قيام الساعة) ولذلك علقت الملائكة المشيئة على ميعاد البعث

فتبين من الحديث نفسه بطلان ما فهموه وادعوه أن الملائكة علقت المشيئة على غيب مُستقبلى يقينى ، وقد بينت خطأ ذلك بفضل الله وحده ، وبينت أن المقصود من تعليق المشيئة هو عدم العلم بميعاد البعث لانه امر اختص الله بعلمه وحده كما قال : " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ " لقمان ٣٤

٩ – قول النبي لأصحابه " أرجو أن أكون أتقاكم "

حَدَّثَنَا أَبُو نُوحٍ ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي يُونُسَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْبَابِ وَأَنَا أَسْمَعُ، قَالَ : أُصْبِحُ جُنُبًا وَأَنَا أُرِيدُ الصَّوْمَ ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنِّي أُصْبِحُ جُنُبًا وَأَنَا أُرِيدُ الصَّوْمَ ".قَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي لَسْتُ كَمِثْلِكَ ، أَنْتَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : " إِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلرَّبِّ ﷻ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي " . (١)

مع أنه يقيناً كذلك كما ورد عند البخارى قال :

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ : " مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً " . (٢)

قالوا : فمع ان النبى هو أتقانا وأخشانا وأعلمنا وهو على يقين بذلك كما أخبر هو بنفسه ﷺ

ومع ذلك استثنى ، فهذا استثناء على يقين ، فدل على جواز الاستثناء فى الايمان والاستثناء على أى يقين

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فِي قَوْلِهِ ﷺ : « إِنِّي أَرْجُو » دَلِيلٌ عَلَى إِبَاحَةِ رَجَاءِ الْإِنْسَانِ فِي الشَّيْءِ الَّذِي لَا يُشَكُّ فِيهِ بِالْقَوْلِ ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى إِبَاحَةِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ عَلَى السَّبِيلِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ . اهـ (٣)

قلت (على بن شعبان) : أرجو هنا سؤال وطلب من الله ، وهذا جائز سواء فى الشيء اليقينى المُتحقق أو سواء فى الشيء الغير مُتحقق وإليكم بيان ذلك من اللغة والشرع

أولاً :– الرجاء فى اللغة : (الرجاء) بالمد (ضد اليأس) قال الراغب : هو ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة ، وقال الحر : هو ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما ، وقال غيره : هو لغة الامل ، وعرفا : تعلق القلب بحصول محبوب مُستقبلا كذا عبر ابن الكمال : وقال شيخنا : هو الطمع فى ممكن الحصول أى بخلاف التمنى انه يكون فى الممكن والمستحيل . اهـ (٤)

رجا أَمرًا : أمَّله وأراده " أرجو من الله المغفرة : أسأله وأدعوه وأبتهل إليه – أتيتُه رجاء أن يحسن إليّ – رجاء العلم بكذا : في المراسلات– برجاء عمل كذا : فى المراسلات – { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا } " ، أرجوك : عبارة تستخدم كطلب مهذَّب – رجا اللّه أن يغفر له : طلب منه – . اهـ (٥)

فالرجاء عبارة عن طلب من الغير هذا من ناحية اللغة .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢٤٦٩٩

(٢) البخارى ٦١٠١

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٨ / ٢٦٥ ، لابن حبان البستى المتوفى ٣٥٤ ، ط / مؤسسة الرسالة – بيروت

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس ٣٨ / ١٢٧ للزبيدى ، ط / دار الهداية

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢ / ٨٦٧ ، لـــ د أحمد مختار عبد الحميد عمر ، دار عالم الكتب بيروت

ثانياً :- الرجاء فى الشرع

أخر ج البخارى من حديث أنس أن النبى دخل على شاب وهو فى الموت وسئله : " كَيْفَ تَجِدُكَ " ، قَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّى أَرْجُو اللَّهَ ، وَإِنِّى أَخَافُ ذُنُوبِى . (١)

فالرجاء عبادة من العبادات وهو عبارة عن طلب من الله .

فالحاصل أن " أرجو " تأتى بمعنى (آمل – أتمنى – أطلب – أسأل – أُريد)

فــ " أرجو " فى قوله ﷺ " أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلرَّبِّ " اى طلب من الله وهو دعاء لله بالتثبيت والمداومة والزيادة على ماهو عليه أصلاً ، أى آمل أن يُثبتنى الله على ذلك وهو أنى أعلمكم واخشاكم لله

فان قال احد كيف للنبى أن يسال الله شى مُتحقق فيه ؟ !!!

نقول هذه هى سنة الانبياء والمؤمنين ، وهى طريقة القران ، وإليكم بيان ذلك : –

مثل ما فى قوله : " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " الفاتحة ٦

فالمسلمون على الصراط المستقيم ومع ذلك فى كل صلاة يدعون الله بها ، ولكن هنا " اهدنا " بمعنى ثبتنا على هذه الهداية على الصراط المُستقيم ، فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

وقال تعالى اخبارا عن ابراهيم واسماعيل : " رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ " البقرة ١٢٨

مع ان هذا مُتحقق فيهما عليهما السلام أى الهما مسلمين ، ولكن هنا سؤال الله الثبات على الاسلام أو الاستزادة منه فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب للثبات عليه

وكما فى قوله تعالى : " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ " النساء ١٣٦

أى اثبتوا على الايمان بالله ورسوله والكتب أو هو طلب الازدياد من ذلك

فمع ان هذا مُتحقق فيهم ، أى الهم مؤمنين بذلك ، ولكن هنا طلب الله إما للثبات على الايمان أو الاستزادة منه فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

وكما فى قول سحرة فرعون الذين أمنوا : " رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ " الاعراف ١٢٦

فمع ان هذا شيء مُتحقق فيهم ، أى الاسلام ، ولكن هنا طلب للثبات على الاسلام حتى يموتوا عليه ويلقوا الله به فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

وكما فى قول يوسف عليه السلام : " تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ " يوسف ١٠١

---

(١) البخارى ٩٨٣

فمع ان هذا شيء مُتحقق فى يوسف عليه السلام ، أى الاسلام ، ولكن هنا طلب للثبات على الاسلام حتى يموت عليه ويلقى الله به ، فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

وكقول ابراهيم عليه السلام : " وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ " ابراهيم ٣٥

مع ان هذا مُتحقق فيه عليه السلام ، أى انه لا يعبد الاصنام ، ولكن هنا سؤال الله الثبات على ذلك
فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

وكقوله تعالى عن ابراهيم : " رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ " ابراهيم ٤٠

مع ان هذا مُتحقق فيه عليه السلام ، أى انه مُقيم للصلاة ، ولكن هنا سؤال الله الثبات على ذلك أو الاستزادة منه
فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

وقال تعالى : { بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } الزمر ٦٥
مع ان النبى يعبد ربه ولا يعبد غيره ، فهو طلب لشيء مُتحقق فيه ، ولكن هنا طلب الله من النبى إما للثبات على ذلك أو الاستزادة منه ، فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ } الحديد ٢٨

مع ان الايمان بالرسول لازم لكونهم مؤمنين ، فهو مُتحقق فيهم ، أى انهم مؤمنين بالرسول ، ولكن هنا سؤال الله لهم الايمان بالرسول إما للثبات على ذلك أو الاستزادة منه
فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

وكما فى حديث أَنَسٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ : يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ "، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ : " نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ " . (١)

ووجه الدلالة والشاهد هنا أن النبى يدعو الله أن يثبته على الدين وهذا شى مشروع وليس باستثناء ، مع ان النبى يعلم يقيناً انه سيموت على الاسلام ، فهو الذى اخبر انه أول من تُفتح له ابواب الجنة ، وأخبر أن له أعلى درجة فى الجنة ، ومع ذلك يسئل الله الثبات ، فطلب الشيء المُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

وكما فى دعاء : صلى الله على محمد ، والصلاة هنا يدخل فيها (أى صلاة الله على محمد) المغفرة والرحمة والعفو وكل الاثار المتعدية من اسماء الله وصفاته ، مع النبى اخذها وهى مُتحققة فيه اصلا فى حياته وبعد مماته ، ولكنه هنا على سبيل الاستزادة منه ، فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

---

(١) الترمذى ٢١٤٠ وصححه الالبانى

وكما عند البخارى قال حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْتَقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ فَاقْتَتَلُوا فَلَمَّا مَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَسْكَرِهِ وَمَالَ الْآخَرُونَ إِلَى عَسْكَرِهِمْ وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَهُمْ شَاذَّةً، وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ : مَا أَجْزَأَ مِنَّا الْيَوْمَ أَحَدٌ كَمَا أَجْزَأَ فُلَانٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ " ، فَقَالَ رَجُلٌ : مِنَ الْقَوْمِ أَنَا صَاحِبُهُ ، قَالَ : فَخَرَجَ مَعَهُ كُلَّمَا وَقَفَ وَقَفَ مَعَهُ، وَإِذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ مَعَهُ، قَالَ : فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بِالْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ، قَالَ الرَّجُلُ : الَّذِي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَأَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهِ ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ فِي الْأَرْضِ وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " . (١)

والشاهد من الحديث أن الرجل قال " أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ " وهو قد شهد من قبل بانه رسول الله ، فلم يدخل فى دين الاسلام أصلاً الا بتلك الشهادة ، فهى مُتحققة فيه ، فما معنى الشهادة هنا ؟!!

والجواب : معنى الشهادة هنا أنى ازددت ثباتاً على الشهادة انك رسول من عند الله ، فتكرار ما هو مُتحقق فى العبد هو إما طلب على الثبات وإما إزدياد الثبات فعلاً .

والامثلة من الكتاب والسنة كثيرة جداً ولكن نكتفى بذلك حتى لا نُطيل ، والمُنصف يكفيه دليل

وأخيراً أختم بنقل فهم الصحابة والتابعين فى القطع باليقين المُستقبلى بغير تعليق مشيئة لذلك ولا استثناء

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى الْأَشْيَبُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ قَالَ « قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى شِيَخَةٍ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ شَيْخٌ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا لَهُ ، فَقَالَ الْقَوْمُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا ، فَقَامَ خَلْفَ سَارِيَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْجَنَّةُ لِلَّهِ يُدْخِلُهَا مَنْ يَشَاءُ وَإِنِّي رَأَيْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا رَأَيْتُ كَأَنَّ رَجُلًا أَتَانِي فَقَالَ لِي انْطَلِقْ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَسَلَكَ بِي فِي نَهْجٍ عَظِيمٍ فَعُرِضَتْ عَلَيَّ طَرِيقٌ عَلَى يَسَارِي فَأَرَدْتُ أَنْ أَسْلُكَهَا فَقَالَ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ طَرِيقٌ عَنْ يَمِينِي فَسَلَكْتُهَا حَتَّى إِذَا انْتَهَيْتُ إِلَى جَبَلٍ زَلَقٍ فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَّلَ بِي فَإِذَا أَنَا عَلَى ذُرْوَتِهِ فَلَمْ أَتَقَارَّ وَلَمْ أَتَمَاسَكْ وَإِذَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ فِي ذُرْوَتِهِ حَلْقَةٌ مِنْ ذَهَبٍ فَأَخَذَ بِيَدِي فَزَجَّلَ بِي حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ فَقَالَ اسْتَمْسَكْتَ قُلْتُ نَعَمْ فَضَرَبَ الْعَمُودَ بِرِجْلِهِ فَاسْتَمْسَكْتُ بِالْعُرْوَةِ فَقَالَ قَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ رَأَيْتَ خَيْرًا أَمَّا الْمَنْهَجُ الْعَظِيمُ فَالْمَحْشَرُ وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي عُرِضَتْ عَنْ يَسَارِكَ فَطَرِيقُ أَهْلِ النَّارِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي عُرِضَتْ عَنْ يَمِينِكَ فَطَرِيقُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَمَّا الْجَبَلُ الزَّلَقُ فَمَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ وَأَمَّا الْعُرْوَةُ الَّتِي اسْتَمْسَكْتَ بِهَا فَعُرْوَةُ الْإِسْلَامِ فَاسْتَمْسِكْ بِهَا حَتَّى تَمُوتَ فَأَنَا أَرْجُو أَنْ

---

(١) البخارى ٢٨٩٨

أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ » . (١)

وفى رواية عند البخارى قال النبى لعبدالله بن سلام : " لَا تَزَالُ مُسْتَمْسِكًا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ " . (٢)

والشاهد : أن القوم قطعوا لعبدالله بن سلام بأنه من أهل الجنة لاخبار الرسول بذلك ولم يُعلقوا المشيئة أو يستثنوا وفيهم الصحابة والتابعين ولم يُنكر أحد عليهم وأقروهم لان النبى أخبر بذلك من قبل ، وفى رواية البخارى جزم النبى وقطع له بأنه يموت على الاسلام ولم يُعلق مشيئة ولا أستثناء ولا أى شيء .

وأما عن قول عبدالله بن سلام فى نهاية الحديث " أَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فهنا كما قلنا من قبل وبينا بالامثلة أنه طلب للثبات على ذلك أو الاستزادة منه ، فطلب الشيء الذى هو مُتحقق فى العبد إما أن يكون للاستزادة منه أو طلب الثبات عليه

ففى الحديث فوائد عظيمة تشهد لما بيناه من قبل بوجوب الجزم بما هو يقين ثبت فى الشرع مثل : -

١ - قول التابعين والصحابة : " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا "

ولم يقولوا من أهل الجنة ان شاء الله بل قطعوا بانه من أهل الجنة ولم يستثنوا لان الرسول اخبر بذلك فهو يقين والصحابة والتابعين معاً أقروا هذا القول وعبد الله بن سلام سمع ذلك ولم يُنكره بل اقره .

٢ - قول النبى : " وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي عُرِضَتْ عَنْ يَسَارِكَ فَطَرِيقُ أَهْلِ النَّارِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهَا "

فجزم النبى بانه ليس من اهل النار يقيناً ، ولم يستثن ولم يُعلق المشيئة ، وذلك لان المشيئة انما تُعلق فى المُستقبل الغيبى الغير يقينى فقط ، ولا تُعلق المشيئة فى المُستقبل الغيبى اليقينى ، ولم يعرف العرب قط فى لغتهم ولا الانبياء ولا الصحابة تعليق المشيئة على المُستقبل الغيبى اليقينى .

فهذا هو الفهم الصحيح للنصوص ، وقد وفقنى الله بأن نقلت فهم الانبياء والصحابة وكبار التابعين لذلك ، فليس الا التسليم للنصوص واتباع الحق وترك زلات العلماء من بعد الصحابة والتابعين فى تفسيرهم المُخالف للغة والشرع

والحمد لله أولاً وأخراً .

---

(١) سنن ابن ماجة ٣٩٢٠ وصححه الالبانى

(٢) البخارى ٧٠١٤

١٠ – قول النبى فى زيارة القبور " وانا ان شاء الله بكم لاحقون "

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَسُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جميعا، عَنْ إِسْمَاعِيل بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل، أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ... الحديث . (١)

قالوا : فمع أن النبى يعلم يقيناً أنه سيموت إلا أنه استثنى وعلق المشيئة على اللحوق بهم (يعنى الموت)

قلت (على بن شعبان) : وهذا فهم مقلوب لدلالات الحديث ، ولما أراده وقصده النبى بكلامه

فالنبى سلم على اهل البقيع وأخبر بانه يريد ان يُدفن معهم فى البقيع ولكن لان الامر هذا غيبى ولا احد يعلمه ويملكه الا الله كما قال تعالى : " وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " لقمان ٣٤

لاجل ذلك علق النبى ارادته بمشيئة الله ﷺ فتعليق المشيئة من النبى كان على اللحوق بموضع الدفن (أى البقيع) وليس على الموت نفسه

وقد قال بذلك كثير من أهل العلم وعلى راسهم الامام أحمد بن حنبل الذى تُنسب اليه بدعة الاستثناء فى الايمان

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَارُونَ ، أَنَّ إِسْحَاقَ حَدَّثَهُمْ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، يَقُولُ : " اذْهَبْ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْإِيمَانِ ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ ، وَالْعَمَلُ الْفِعْلُ ، فَقَدْ جِئْنَا بِالْقَوْلِ ، وَنَخْشَى أَنْ نَكُونَ قَدْ فَرَّطْنَا فِي الْعَمَلِ ، فَيُعْجِبُنِي أَنْ نَسْتَثْنِيَ فِي الْإِيمَانِ ، نَقُولُ : أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : « وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ » ، الِاسْتِثْنَاءُ هَاهُنَا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَقَعُ ؟ قَالَ : « عَلَى الْبِقَاعِ ، لَا يَدْرِي أَيُدْفَنُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلَيْهِمْ أَوْ غَيْرِهِ » " . (٢)

قال ابن كيسان : لَتَدْخُلُنَّ من قوله رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه ، فأخبر الله عن رسوله أنه قال ذلك ، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى تأدباً بأدب الله حيث قال { وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ... } الاية
وقال أبو عبيدة : " إلاَّ " بمعنى إذ مجازه إذْ شَاءَ شاللّه كقوله : (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)
وقال الحُسَيْنُ بن الفضل : يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة ومات في السنة ناس فمجاز الآية لتدخلن المسجد الحرام كلكم إذْ شَاءَ الله .
وقيل : الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول ؛ لأن الدخول لم يكن فيهن شك كقول النبيّ ﷺ عند دخول القبر : " وإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَ حِقُونَ " فالاستثناء راجع إلى اللحوق لا إلى الموت) . اهــ (٣)

---

(١) مسلم ٢٥٢
(٢) السنة ٣ / ٦٠٠ برقم ١٠٦٥ لابى بكر الخلال المتوفى ٣١١ هــ ، ط / دار الراية الرياض بالسعودية
(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤ / ٢٤٤ ، لــ أبو محمد الحسين البغوى المتوفى ٥١٠ هــ ، ط / دار إحياء التراث العربى بيروت

فَإِن قَالَ قَائِل : إِنَّمَا يُقَال إِن شَاءَ الله فِي الْأَمر المظنون ، وَقد وَقع الْيَقِين بِالْمَوْتِ ، فَمَا وَجه قَوْله : " وَإِنَّا إِن شَاءَ الله بكم لاحقون " ؟

فَالْجَوَاب : من أَرْبَعَة أوجه :

أَحدهمَا : أَن استثناءه وَقع على الْبِقَاع ، لِأَنَّهُ لَا يدْرِي أَيْن يَمُوت ، فِي هَذِه الْبقْعَة أَو فِي غَيرهَا ، رَوَاهُ إِسْحَق بن إِبْرَاهِيم بن هَانِئ عَن أَحْمد بن حَنْبَل .

وَالثَّانِي : أَنه لما قيل لَهُ : { وَلَا تقولن لشَيْء إِنِّي فَاعل ذَلِك غَدا إِلَّا أَن يَشَاء الله } الْكَهْف٢٣، ٢٤ صَارَت هَذِه الْكَلِمَة فِي الْمُتَيَقن والمظنون ، وَهَذِه الْكَلِمَة لما أهمل ذكرهَا سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلَام فِي قَوْله : " لأطوفن اللَّيْلَة على مائَة امْرَأَة تَلد كل امْرَأَة غُلَاما " لم يحصل لَهُ مَقْصُوده . وَإِذا أطلقت على لِسَان رجل من يَأْجُوج وَمَأْجُوج فَقَالَ : غَدا يحْفر السد إِن شَاءَ الله نفعتهم . فَقدر على الْحفر ، فَإِذا فَاتَ مَقْصُود نَبِي بتَرْكهَا ، وَحصل مُرَاد كَافِر بقولهَا ، فليعرف قدرهَا ، وَكَيف لَا وَهِي تَتَضَمَّن إِظْهَار عجز البشرية وَتَسْلِيم الْأَمر إِلَى قدرَة الربوبية .

وَالثَّالِث : أَن الِاسْتِثْنَاء وَاقع على استِصْحَاب الْأَيْمَان إِلَى الْمَوْت لَا إِلَى نفس الْمَوْت ، فَيكون ذَلِك صادرا من رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم على جِهَة التَّعْلِيم ، أَو لِأَنَّهُ كَانَ مَعَه غَيره مِمَّن لَا يدْرِي مآله .

الرَّابِع : أَن يكون مَعَه من ينافق ، فَيَنْصَرِف اسْتِثْنَاؤُهُ إِلَيْهِم ، وَيكون الْمَعْنى : إِن شَاءَ الله لُحُوق هَؤُلَاءِ بِالْمُؤْمِنِينَ قبل الْمَوْت وَقع اللحوق بِالْمُؤْمِنِينَ من الْمَوْتَى للْكُلّ . فَإِن قيل : إِنَّمَا تسْأَل الْعَافِيَة للحي ، فَمَا معنى سؤالها للْمَيت ؟ فَالْجَوَاب: أَنه يتَعَيَّن الْإِيمَان بتعذيب الْمَوْتَى وبعثهم، فَسَأَلَ للمعذبين مِنْهُم الْعَافِيَة من بلَاء الْعَذَاب . اهـ (١)

(وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) : للعلماء فى إتيانه بالاستثناء مع أن الموت لا شك فيه أقوال : أظهرها أنه ليس للشك وإنما هو للتبرك وامتثال أمر الله فيه . قال أبو عمر : الاستثناء قد يكون فى الواجب ..... إلى ان قال :

والثانى : أنه عادة المتكلم يُحسن به كلامه .

والثالث : أنه عائد إلى اللحوق فى هذا المكان والموت بالمدينة .

والرابع : أنَّ " إن " بمعنى " إذ " .

والخامس : أنه راجع إلى استصحاب الإيمان لمن معه .

والسادس : أنه كان معه من يظنّ بهم النفاق فعاد الاستثناء إليهم . (٢)

والاستثناء بقوله : (إن شاء الله) – مع أن الموت لا شك فيه – للعلماء فيه أقوال ، والأظهر أنه وارد علي التبرك كما فى قوله تعالى : { لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين } . وقال الخطابى وغيره : إن ذلك من عادة من يحسن الكلام به ، وقال أيضاً : فى الحديث أن السلام على الأموات والأحياء سواء فى تقديم السلام على (عليكم) والثالث أن الاستثناء عائد إلى اللحوق بالمكان المتبرك ، لأنه مشكوك فيه . اهـ (٣)

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢ / ٢٧ لـ أبو الفرج بن الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ ، ط / دار الوطن الرياض السعودية

(٢) شرح صحيح مسلم ٣ / ١٣٨ للنووى المتوفى ٦٧٦ هـ ، ط / دار إحياء التراث العربى بيروت

(٣) الكاشف عن حقائق السنن ٣ / ٧٥٤ لـ الطيبي المتوفى ٧٤٣ هـ ، ط / مكتبة نزار مصطفى الباز بالرياض السعودية

قلت (على بن شعبان) : وهو أى " الامام الطيبى " يقصد بكلمة " مشكوك فيه " أى لا يعلم يُدفن فى البقيع أم لا ، لان الله يقول : " وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " لقمان ٣٤

قال ابن كيسان : لَتَدْخُلُنَّ من قوله رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه ، فأخبر الله عن رسوله أنه قال ذلك ، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى تأدباً بأدب الله حيث قال { وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ... } الاية
وقال أبو عبيدة : " إلاَّ " بمعنى إذ مجازه إذْ شَاءَ شاالله كقوله : (إن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)
وقال الحُسَيْنُ بن الفضل : يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة ومات في السنة ناس فمجاز الآية لتدخلن المسجد الحرام كلكم إذْ شَاءَ الله .
وقيل : الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول ؛ لأن الدخول لم يكن فيهن شك كقول النبيّ (صلى الله عليه وسلم) عند دخول القبر : " وإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَ حِقُونَ " فالاستثناء راجع إلى اللحوق لا إلى الموت) . اهــ (١)

(وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) قال النووى وغيره : للعلماء فى إتيانه بالاستثناء مع أن الموت لا شك فيه أقوال : أظهرها أنه ليس للشك وإنما هو للتبرك وامتثال أمر الله فيه . قال أبو عمر : الاستثناء قد يكون فى الواجب .....
والثانى : أنه عادة المتكلم يُحسن به كلامه .
والثالث : أنه عائد إلى اللحوق فى هذا المكان والموت بالمدينة .
والرابع : أنَّ " إن " بمعنى " إذ " .
والخامس : أنه راجع إلى استصحاب الإيمان لمن معه .
والسادس : أنه كان معه من يظنّ بهم النفاق فعاد الاستثناء إليهم . (٢)

فإن قيل : ما وجه دخول { إن شاء الله } أى : الذى له الإحاطة بصفات الكمال أجيب بأوجه
أحدها : أنه تعالى ذكره تعليماً لعباده الأدب لأن يقولوا في غداهم مثل ذلك متأدبين بآداب الله ومقتدين بسنته لقوله تعالى { ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله } الكهف ٢٣ ، ٢٤
ثانيها : أن يريد لتدخلنّ جميعاً إن شاء الله ، ولم يمت منكم أحد .
ثالثها : أن ذلك كان على لسان ملك فأدخل الملك إن شاء الله .
رابعها : إنها حكاية ما قال رسول الله ﷺ لأصحابه وقص عليهم .
وقال أبو عبيدة : أن بمعنى إذ مجازه إذ شاء الله ، كقوله تعالى { إن كنتم تعلمون } الجمعة ٩
خامسها : إنها للتبرّك وقيل هي متعلقة بآمنين فالاستثناء مواقع على الأمن لا على الدخول لأن الدخول لم يكن فيه شك كقوله ﷺ عند دخول المقبرة وإنا إن شاء الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع إلى اللحوق لا إلى الموت . اهــ (٣)

---

(١) اللباب فى علوم الكتاب ١٧ / ٥٠٩ لــ سراج الدين عمر بن علي النعماني المتوفى ٧٧٥ هــ ، ط / دار الكتب العلمية – بيروت
(٢) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ١ / ٤٠ للامام السيوطى المتوفى ٩١١ هــ ، ط / المكتبة التجارية الكبرى – مصر
(٣) السراج المنير فى الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٤ / ٢٩ لــ الخطيب الشربيني ٩٧٧ هــ ، ط / دار الكتب العلمية – بيروت

" وانا إن شاء الله بكم لاحقون " فى هذا الإستثناء مع أن الموت حق لا شك فيه للعلماء أقوال :
والأظهر أنه وارد على سبيل التبرك كما فى قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين
وقال الخطابي وغيره إن ذلك من عادة من يحسن الكلام به
والثالث : أن الإستثناء عائد على اللحوق بالمكان المتبرك لأنه مشكوك فيه قال تعالى : " وما تدرى نفس بأي أرض تموت " . اهـ (١)

(وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) قال النووى وغيره : للعلماء فى إتيانه بالاستثناء مع أن الموت لا شك فيه أقوال :
أظهرها أنه ليس للشك وإنما هو للتبرك وامتثال أمر الله فيه . قال أبو عمر : الاستثناء قد يكون فى الواجب .....
والثانى : أنه عادة المتكلم يُحسن به كلامه .
والثالث : أنه عائد إلى اللحوق فى هذا المكان والموت بالمدينة .
والرابع : أنَّ " إن " بمعنى " إذ " .
والخامس : أنه راجع إلى استصحاب الإيمان لمن معه .
والسادس : أنه كان معه من يظنّ بهم النفاق فعاد الاستثناء إليهم . (٢)

(وإنا إن شاءالله بكم لاحقون) أتى بالاستثناء مع أن الموت لا شك فيه ، وللعلماء فيه أقوال تبلغ إلى عشرة ، أظهرها أنه للتبرك لا للشك ، كما فى قوله: " لتدخلن المسجد الحرام إن شاءالله آمنين "
وقيل لامتثال أمر الله فى قوله : " ولا تقولن لشئ إن فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله "
وقيل : باعتبار اللحوق فى هذا المكان والموت بالمدينة . (٣)

(وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) إن شاء الله هذه تعود إلى وقت اللحوق وليس إلى اللحوق ؛ لأن اللحوق متيقن ، والمتيقن لا يقيد بالمشيئة لكن تعود إلى وقت اللحوق ؛ لأن كل واحد منا لا يدرى متى يلحق ، فيكون معنى قوله : (إنا إن شاء الله بكم لاحقون) أى : وإنا متى شاء الله بكم لاحقون ، كقوله تعالى (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) . اهـ (٤)

(وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ) اختُلف في إتيانه بالاستثناء مع أن الموت لا شكّ فيه على أقوال :
أحدها ، وهو أظهرها : أنه ليس للشكّ ، وإنما هو للتبرّك ، وامتثال أمر اللَّه له بقوله : { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا () إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } الكهف ٢٣ ، ٢٤ ، قال الحافظ أبو عمر : الاستثناء قد يكون في الواجب لا شكّا ..
والثانى : أنه عادة المتكلّم يُحسّن به كلامَهُ .

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١ / ٣٦٥ لـ الملا على القارى المتوفى ١٠١٤ هـ ، ط / دار الفكر بيروت
(٢) شرح الزرقانى على موطا مالك ١ / ١٤٨ لـ عبد الباقى الزرقانى المتوفى ١٠٩٩ هـ ، ط / مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة
(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢ / ١٨ لـ عبيد الله الرحمانى المباركفورى المتوفى ١٣٢٧ هـ ، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند
(٤) شرح رياض الصالحين ٣ / ٤٧٤ لـ محمد بن صالح العثيمين ، المتوفى ١٤٢١ هـ ، ط / دار الوطن – الرياض – السعودية

والثالث : أنه عائد إلى اللحوق في هذا المكان ، والموتِ بالمدينة .

والرابع : أن " إن " بمعنى " إذ " .

والخامس : أنه راجع إلى استصحاب الإيمان لمن معه

والسادس : أنه كان معه من يظنّ بهم النفاق ، فعاد الاستثناء إليهم . اهـــ (١)

فالحاصل أن تعليق المشيئة فى اللحوق عائد على المكان أى (البقيع) لان النبى لا يدرى أيُدفن معهم أم لا ، لان ذلك أمر اختص الله به كما قال تعالى : " وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " لقمان ٣٤

ولما كان الامر كذلك تآدب النى مع ربه كما علمه ذلك من قبل كما قال تعالى : { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا () إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } الكهف ٢٣ ، ٢٤

فلا تعليق للمشيئة أبداً فى الامور المُسقبلية المُتيقن منها ، بل هذه " سفاهة " نعم سفاهة من ناحية اللغة لم ينطق العرب بها ، ولم يأتى بها الشرع ، بل هم فهموا مدلولات النصوص بخلاف ما هى عليه ، وتعالى الله عن هذا ، وحاش لرسوله من هذه السفاهة ، والحمد لله أولاً وأخراً .

---

(١) شرح سنن النسائي المسمى ٢٠ / ٥١ لـــ محمد بن على بن آدم الاثيوبى (معاصر) ، ط / دار المعراج الدولية الرياض السعودية

١١ – قول النبى فى تبشير امته بشفاعته لهم " وهى نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا "

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ ، ثنا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، ثنا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، أَنَّ عَمْرَو بْنَ أَبِي سُفْيَانَ حَدَّثَهُ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ لِكَعْبِ الأَحْبَارِ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا " . (١)

قالوا : فمع أن شفاعة النبى للمُسلمين يقين لا شك فيه الا ان النبى ﷺ استثنى وعلق المشيئة على هذا اليقين

قلت (على بن شعبان) : وهذا فهم مقلوب للنصوص كالعادة مثل ما مضى من استشهاد أصحاب خرافة الاستثناء فى الايمان ، فتعليق المشيئة ليس على الشفاعة نفسها ، فشفاعة النبى يقين لا شك فيه ، ولازم على كل مسلم ان يؤمن بذلك ويعتقده والا كان كافراً ، ولكن تعليق المشيئة فى كلام النبى ﷺ على ثلاثة أشياء وبيانها كالاتى : –

الشفاعة لها ثلاثة أركان وهى : ١ – الشافع ٢ – والمشفوع ٣ – والشفاعة (أى العمل المشفوع لصاحبه فيه) والثلاثة لابد فيهم من اذن من الله (أى لابد أن يشاء الله فى هولاء الثلاثة جميعاً معاً حتى تتم الشفاعة)

١ – فقد يأذن الله فى الشافع ولا ياذن فى المشفوع فيه ومثال هذا

كالنبى محمد اذن الله له فى الشفاعة ولكن ليس لاى احد بل لبعض المؤمنين فقط ، بدليل حديث أبى سعيد الخدرى قال : ثم يقول الله : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ . (٢)

فبعد ان يشفع النبى محمد للمؤمنين يبقى كثير من المؤمنين الموحدين فى النار ولا يخرجون بشفاعة النبى وغيره ، بل يخرجون برحمة الله سبحانه وتعالى .

٢ – وقد ياذن الله فى الشافع ولا ياذن فى الشفاعة أى (بعض الاعمال) ومثال هذا
فى كل من أذن الله له بالشفاعة ، فليس كل شيء يشفعون فيه بل فى الكبائر فقط التى هى دون الشرك والكفر الاكبر ، وقد ذكر الله ذلك فى سورة المدثر : قال تعالى " كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ " المدثر ٣٨ ، ٤٨

فقد ذكر الله أعمالاً لم يأذن فيها بالشفاعة كالصلاة والتكذيب بيوم الدين ، فبين الله فى أخر الاية أنه أذن للشافعين ولكن الله بين أن الشافعين شفعاهم لا تنفع من مات على ترك الصلاة والتكذيب بيوم الدين ، لان هذه اعمال قضى الله وشاء أن هذه الاعمال لا شفاعة فيها لانها كفر وردة عن الاسلام .

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى ١٩١٣٥ ، وهو عند البخارى ٦٣٠٤ ولكن بصيغة مختلفة ، وعند مسلم ٢٠٠ ولكن الاعمش يُدلس عن الضعفاء
(٢) مسلم ١٨٦

٣ – وقد يأذن الله فى الشفاعة ويأّذن فى المشفوع فيه ولا يأذن فى الشافع ومثال هذا

كما قال النبى ﷺ " لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . (١)

فالشافع والمشفوع فيه والشفاعة لابد فى الثلاثة من مشيئة الله لهم (اى اذن الله سبحانه وتعالى)

والدليل على ذلك قول الله تعالى " من الذى يشفع النبى لقوله تعالى " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " البقرة ٢٥٥

فعلق الله المشيئة لانه لا يستطيع أحد ان يشفع لآى أحد ولا لكل أحد الا لمن أذن الله أن يُشفع فيه

وقال تعالى : " لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا " مريم ٨٧

والنبى محمد لن يشفع لكل المُسلمين كما بينا فى حديث أبى سعيد الخُدرى أن بعد أن يشفع النبى يبقى الكثير والكثير من المؤمنين الموحدين فى النار فهم ليسوا بمشركين ومع ذلك لا يخرجون بشفاعة النبى ، بل يخرجون بشفاعة رب العالمين وارحم الراحمين ، فلذلك علق النبى المشيئة بقوله " فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا " ، لانه لا يعلم من الذى سيقبل الله شفاعته فيهم من الموحدين ، فليس كل الموحدين يخرج من النار بشفاعة النبى ، بل منهم من يخرج بشفاعة المؤمنين ومنهم من يخرج بشفاعة الملائكة ومنهم من يخرج بشفاعة النبى محمد ومنهم من يخرج بشفاعة الله أرحم الراحمين .

فتعليق المشيئة فى الحديث من النبى كان لسبب وهو : أنه لن يشفع لكل المُسلمين الموحدين

---

(١) مسلم ٢٦٠٠

١٢ – قول عائشة : " أَنْتُمُ الْمُؤْمِنُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ "

حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، نا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ سَلَمَةَ الضَّبِّيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِصْمَةَ ، قَالَ : " كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَتَاهَا رَسُولُ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَدِيَّةٍ، فَقَالَ : أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَتْ : أَنْتُمُ الْمُؤْمِنُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَمِيرُكُمْ وَقَدْ قَبِلْتُ هَدِيَّتَهُ " . (١)

قالوا : استثنت عائشة على الايمان ، وهذا صريح فى بيان فهم الصحابة للاستثناء فى الايمان

قلت (على بن شعبان) : الحديث ضعيف ولا يصح عن عائشة رضى الله عنها ، وإليكم بيان ذلك :

مدار هذه الرواية على : المغيرة بن مقسم الضبى ، وهو مُدلس من المرتبة الثالثة . (٢)

والمرتبة الثالثة : هى التى لا يُقبل حديث أصحابها إلا إذا صرحوا بالسماع . اهـ (٣)

مغيرة بن مقسم الضبى : قال ابن فضيل كان يدلس فلا نكتب إلا ما قال ثنا إبراهيم ، وقال أحمد بن حنبل عامة حديثه عن إبراهيم مدخول إنما سمعه من حماد ومن يزيد بن الوليد والحارث العكلى ، وجعل أحمد يضعف حديثه عن إبراهيم يعنى النخعى . اهـ (٤)

ثانياً : – عبد الرحمن بن عصمة مجهول الحال ، لم يُترجم له أحد من أهل العلم بجرح أو تعديل

يقول الشيخ / عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر فى شرحه للحديث : ولم أقف لابن عصمة على ترجمة . اهـ (٥)

فليس فى الحديث حجة كما زعموا ، ولا هو نقل لفهم الصحابة ومنهاجهم فى الاستثناء كما زعموا

والحمد لله أولاً وأخراً

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ٦٥٩ ط / دار رمادى للنشر الرياض السعودية ، مُصنف ابن أبي شيبة ٢٩٧٩١ ، ط / دار الرشد الرياض السعودية ، الايمان لابن أبي شيبة ٢٤ ، ط / دار المكتب الاسلامى بيروت ، شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٣٩٥ للالكائى ، ط / دار الكتب العلمية بيروت ، السنة لابى بكر الخلال ٧٣٤ ، ط / دار الراية للنشر الرياض السعودية

(٢) تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ص ٤٦ ، للحافظ ابن حجر ، ط / مكتبة المنار – الأردن

(٣) تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ص ١٣ ، للحافظ ابن حجر ، ط / مكتبة المنار – الأردن

(٤) جامع التحصيل فى أحكام المراسيل للحافظ العلائى ١ / ١١٠ برقم ٥٢ ، ط / عالم الكتب بيروت

(٤) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ص ٤٧٩ ، ط / مكتبة دار القلم والكتاب بالرياض السعودية

١٣ – حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، يَقُولُ : أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ : " لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَانْتَهَرَهَا ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ : " وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا " ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ : " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " . (١)

قالوا : ودخول أصحاب الشجرة الجنة شيء يقيني مقطوع به وهم جميعاً مُبرئون من النفاق وماتوا على الاسلام ومع ذلك استثنى النبى وعلق المشيئة على عدم دخولهم النار ، فتبين جواز الاستثناء على اليقين

قلت (على بن شعبان) : وكالعادة هذا فهم مقلوب لنصوص الوحى ، وإليكم بيان الحديث : –

١ – نقطع لاصحاب الشجرة وأهل بدر بالجنة وعدم الخلود فى النار

٢ – لا نقطع لكل أصحاب الشجرة والبدريين بعدم دخول النار ابتداً ثم الخروج منها ، بل قد يدخل بعض منهم ويخرج ولا يُخلد أحد منهم أبداً ، ولذلك علق النبى المشيئة ، لان من هولاء من ارتكب بعض الذنوب ولم يشاء الله أن يغفرها له ، فدخل النار ليُعاقب عليها ثم يخرج من النار ولا يُخلد فيها ، وقد بين النبى ذلك فى الحديث ووضحه بقوله لحفصة لما اعترضت بعموم الاية " وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا " ، فبين لها النبى مقصوده من كلامه وبخاصة تعليق المشيئة " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " فبين لها النبى مقصوده من كلامه وبخاصة تعليق المشيئة ، ودخول النار والنجاة منها انما هو بفعل المنهيات أو تركها .

ولو كان الامر كما يقول بعض العلماء أنه علق المشيئة للتبرك أو أنه عادة المُتكلم أو لانه مُستقبل غيبى سواء يقينى أو غير يقينى لقال النبى ذلك فى نفس المواطن حين شهد لحاطب وغيره بذلك مثل : –

ما أخرجه أحمد فى المسند قال حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا ، يَقُولُ : جَاءَ عَبْدٌ لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ أَحَدِ بَنِي أَسَدٍ يَشْتَكِي سَيِّدَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كَذَبْتَ ، لَا يَدْخُلُهَا ، إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ " . (٢)

ولم يقل رسول الله ان حاطب يدخلها ان شاء الله ، بل جزم وقطع بالامر لانه غيب يقينى ، ولكن النبى علق المشيئة بالنسبة لاصحاب الشجرة والبدريين جميعاً لان منهم من سيرتكب ذنوب يستحق بها دخول النار فيترل تحت المشيئة إما أن يعذبه الله ، وإما أن يغفر له .

وقد يقول قائل : ان أصحاب الشجرة وأهل بدر جميعاً من المغفور لهم والمشهود لهم بالجنة ، فالنبى قال :

" لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ "، فَقَالَ : " اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ " . (٣)

---

(١) مسلم ٢٤٩٩

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١٤٠٧٥ ، وهو عند مسلم ٢٤٩٨ غير أن أبا الزبير لم يصرح بالسماع فيه ، وهنا صرح بالسماع

(٣) البخارى ٦٢٥٩

قلت (على بن شعبان) : نؤمن بذلك ونقول به ، ولكن ليس معنى هذه الشهادة أنهم لن يقترفوا أى ذنب بعد ذلك أو أنهم لو فعلوا ذنباً فى المُستقبل أن ذلك مُباح لهم ، أو أنهم معصومون من ذلك !! وأن ذلك يقطع لهم بدخول الجنة بغير حساب وعقاب فى النار ، بل تجرى عليهم طبائع البشر من ارتكاب الذنوب ، فيجرى عليهم القلم بالثواب والعقاب ، لانهم بشر وتجرى عليهم طبائع البشر من إمكان ارتكاب المنهيات لضعف النفوس البشرية وعدم عصمتها من ذلك

وبيان ذلك يتضح أكثر بهذه الامثلة : –

مثل : قصة عثمان بن مظعون ﷺ وهو من البدريين (أى ممن شهد بدراً)

قال البخارى حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ " اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا ، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ ؟!! ، فَقُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ ؟ ، فَقَالَ : أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي ، قَالَتْ : فَوَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا " . (١)

والشاهد من الحديث ما يلى : –

أن عثمان بن مظعون من أهل بدر ، وأهل بدر مشهود لهم بالجنة ومقطوع لهم جميعاً بذلك ومقطوع لهم بعد الخلود فى النار ، ولكن ليس مقطوع لهم بعدم دخول النار ، ففرق بين القطع لاحد بالجنة وبين عدم دخوله النار ، لانهم ليسوا بمعصومين من الذنوب ، فقد يقترفوا الذنوب ويستحقوا العقوبة بالنار لاجل ذلك ، وهذا لا يتناقض ولا يتعارض مع القطع لهم بالجنة لانهم لن يُخلدوا فى النار بل يُحاسبون على ذنوبهم التى ارتكبوها ثم يخرجوا من النار اذا شاء الله ذلك أو يعفو الله ابتداً قبل دخولهم ، أو يُدخلهم ثم يُخرجهم بشفاعة أحد كالانبياء والمؤمنين والملائكة قبل أن يقضوا ما عليهم من الذنوب ، وكل ذلك تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى ، فالحديث واضح جداً فى التفريق بين القطع بدخول الجنة والقطع بعدم دخول النار أو عدم الحساب وبين دخول النار ثم الخروج منها ، لان ذلك أمر غيبى لا يعلمه الا الله فوجب تعليق المشيئة فيه كما فعل النبى فقال : " لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا "

فالنبى لم يُعلق المشيئة على دخولهم الجنة لان هذا يقين ، ولم يُعلق المشيئة على عدم خلودهم فى النار لان هذا يقين ولكن علق المشيئة على عدم دخولهم النار لان منهم من سيدخلها بسبب ذنوبه
على انى أقطع لمن قطع النبى لهم بعدم دخول النار مثل ما قال النبى ﷺ للعبد الذى جاء يشتكى حاطب وقال لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كَذَبْتَ ، لَا يَدْخُلُهَا ، إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ " . (٢)

---

(١) البخارى ١٢٤٣

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١٤٠٧٥ ، وهو عند مسلم ٢٤٩٨ غير أن أبا الزبير لم يصرح بالسماع فيه ، وهنا صرح بالسماع

والمثال والحمد لله واضح وكافى وشافى فى تبين ما ذهبنا اليه من أن أصحاب الشجرة والبدريين قد يدخل النار ولكنه لا يُخلد .

وهذا مثال أخر وهو عن المقداد بن الاسود الكندى ﷺ

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ ، ثُمَّ الْجُنْدَعِيُّ ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ أَخْبَرَهُ ، أَنَّ الْمِقْدَادَ بْنَ عَمْرٍو الْكِنْدِيَّ ، وَكَانَ حَلِيفًا لِبَنِي زُهْرَةَ وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا ، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ ، فَقَالَ : أَسْلَمْتُ لِلَّهِ ، أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تَقْتُلْهُ "، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تَقْتُلْهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ " . (١)

والشاهد قول النبى له : " فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ "

قالَ الامام الخَطّابيُّ : مَعناهُ أَنَّ الكافِر مُباح الدَّم بِحُكم الدِّين قَبل أن يُسلِم ، فَإذا أَسلَمَ صارَ مُصانَ الدَّم كالُمسلِم ، فَإن قَتَلَهُ الُمسلِم بَعد ذَلِكَ صارَ دَمه مُباحًا بِحَقِّ القِصاص كالكافِرِ بِحَقِّ الدِّين ، ولَيسَ الُمراد إلحاقه فِي الكُفر كَما تَقَوَّلَهُ الخَوارِج مِن تَكفِير الُمسلِم بِالكَبِيرَةِ ، وحاصِله اتِّحاد الَمنزِلَتَين مَعَ اختِلاف الَمأخَذ ، فالأَوَّل أَنَّهُ مِثلُك فِي صَون الدَّم ، والثّاني أَنَّك مِثله فِي الهَدَر . (٢)

فمع كونه شهد بدر الا أن ذلك لم يمنع استحقاق وقوع العقوبة عليه فى الدنيا والاخرة ان أخطأ وارتكب اثم

وهذا مثال أخر وهو عن مسطحُ بن اُثاثة ﷺ

فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا ، فَقَالَتْ : تَعِسَ مِسْطَحٌ ، فَقُلْتُ لَهَا : بِئْسَ مَا قُلْتِ أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، قَالَتْ : أَيْ هَنْتَاهْ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ ؟ ، قُلْتُ : وَمَاذَا قَالَ ؟ ، قَالَتْ : فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ .... " الحديث . (٣)

والشاهد أن مسطحُ بن اُثاثة ﷺ من البدريين ومع ذلك استحق العقوبة لانه وقع فى اثم عظيم كما قال الله :
" إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ " النور ١١

---

(١) البخارى ٤٠١٩

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ١٢ / ١٨٩ للحافظ ابن حجر العسقلانى ، ط / دار المعرفة بيروت

(٣) البخارى ٤١٤١

وهذا مثال أخر وهو قول النبى للصحابة : " " لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ " . (١)

وقد قال هذا الكلام للصحابة وفيهم كثير من أصحاب الشجرة وممن شهد بدراً ، ولم يمنعه فضل أهل بدر من قول ذلك ، بل حدث الاقتتال بعده بالفعل بين الصحابة رضى الله عنهم ، وكان البعض ممن شهد بدراً فى الفئة الباغية

بل أزيد فأقول ، ليس فقط أهل بدر ، بل لو فعل رسول الله محمد ذنب لاستحق عقوبة الله عليه كما قال له ربه :
" لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " الزمر ٦٥

مع أن النبى مقطوع له بالجنة ، ومشهود له بذلك فى غير ما موضع من القران والسنة ، ولكن لانه تجرى عليه طبائع البشر من إمكان ارتكاب الذنوب ، حذره الله تعالى ، فلو فعل النبى الشرط وهو " الشرك " لوقع المُعلق بالشرط واستحقه النبى وهو " لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ولم تمنع النبوة رسول الله من استحقاق العقوبة المُعلقة فكيف بما هو دون النبوة كـ شهود بدر وبيعة الرضوان ، فمن فعل ذنب استحق العقوبة عليه ، ثم يأتى بعد ذلك التفصيل أى " موانع لحوق الوعيد بأهله " ومن هذه الموانع " بيعة الرضوان وشهود بدر " وذلك يقع تحت المشيئة

ونكتفى بهذا حتى لا نُطيل ، والمُنصِف يَكفِيه دليل ، وصاحب الهَوى لا يَكفِيه ألف دَليل

فالحاصل أن تعليق المشيئة فى الحديث ليس على اليقين ، ولكن جاء تعليق المشيئة بسبب من ارتكب ذنوبا من هولاء الصحابة بعد ذلك يستحق بسببها دخول النار ، لان النبى لا يعلم من يُنجيه الله منهم تعيناً الا البعض وليس الجميع .

فليس فى الحديث حجة لهم كما زعموا ، والحمد لله أولاً وأخراً

(١) البخارى ١٢١

١٤ – حديث الصحابى عبد الله ابن مسعود

احتج أصحاب خُرافة الاستثناء فى الايمان بأن هذا المذهب يُنسب الى الصحابى عبد الله بن مسعود ﷺ

والدليل ما يلى : –

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن المغيرة ، قال : قال رجل لأبي وائل : أسمعت عبد الله بن مسعود يقول : « من شهد أنه مؤمن ، فليشهد أنه في الجنة ؟ » قال : نعم . اهـ (١)

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن واصل ، قال : سمعت إبراهيم ، يحدث قال : قال رجل عند عبد الله بن مسعود : إنى مؤمن ، فقال عبد الله : « قل إنى فى الجنة » . اهـ (٢)

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ ، عَنْ مُغِيرَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ شَقِيقًا يَقُولُ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ : سَمِعْتَ ابْنَ مَسْعُودٍ ، يَقُولُ : " إِنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلْيَشْهَدْ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ ؟ "، قَالَ : " نَعَمْ " . اهـ (٣)

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، أن رجلا ، قال عند ابن مسعود : إنه مؤمن ، فقال : ما يقول ، قالوا : يقول إنه مؤمن ، قال : « فسلوه فى الجنة هو ؟ » ، فقالوا : أفى الجنة أنت ؟ قال : الله أعلم ، قال : « أفلا وكلت الأولى إلى الله كما وكلت الآخرة » . اهـ (٤)

قلت (على بن شعبان) : وأما الجواب عن ما ورد عن الصحابى عبد الله بن مسعود فبيانه كما يلى : –

١ – ثبت بالاسانيد الصحيحة رجوع عبد الله بن مسعود عن هذا المذهب بعد مُناظرة أحد التابعين له

٢ – مذهب الموافاة لابن مسعود مُخالف لصريح الكتاب والسنة وما عليه باقى الصحابة

واليكم بيان ذلك :–

أولاً :– رجوع الصحابى عبد الله بن مسعود عن مذهب الموافاة فى الايمان

والذى غفل عنه الكثير من الذين تكلموا فى الاستثناء هو رجوع الصحابى الجليل عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه

قال الطبرانى حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُعَلَّى الدِّمَشْقِيُّ ، ثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ ، ثَنَا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشُّعَيْثِيُّ ، عَنْ حَرَامِ بْنِ حَكِيمٍ وَيُونُسَ بْنِ مَسِيرَةَ بْنِ حَلْبَسٍ ، عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلانِيِّ ، أَنَّهُ قَدِمَ الْعِرَاقَ فَجَلَسَ إِلَى رُفْقَةٍ فِيهَا ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَتَذَاكَرُوا الإِيمَانَ ، فَقُلْتُ : " أَنَا مُؤْمِنٌ " ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : " أَتَشْهَدُ أَنَّكَ فِي الْجَنَّةِ ؟ " فَقُلْتُ : " لا أَدْرِي مِمَّا يَحْدُثُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ " ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : " لَوْ شَهِدْتَ أَنِّي مُؤْمِنٌ لَشَهِدْتَ أَنِّي فِي الْجَنَّةِ "

---

(١) تهذيب الاثار للطبرى ٢٦٩٩

(٢) تهذيب الاثار للطبرى ٢٧٠١

(٣) مصنف ابن ابى شيبة ٢٩٨٦٤

(٤) تهذيب الاثار للطبرى ٢٧٠٥

قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : فَقُلْتُ : " يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ : مُؤْمِنُ السَّرِيرَةِ مُؤْمِنُ الْعَلانِيَةِ، كَافِرُ السَّرِيرَةِ كَافِرُ الْعَلانِيَةِ، مُؤْمِنُ الْعَلانِيَةِ كَافِرُ السَّرِيرَةِ ؟ " قَالَ : " نَعَمْ " ، قُلْتُ : " فَمِنْ أَيِّهِمْ أَنْتَ ؟ " قَالَ : " أَنَا مُؤْمِنُ السَّرِيرَةِ مُؤْمِنُ الْعَلانِيَةِ " ، قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ : قُلْتُ : " وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ، فَمِنْ أَيِّ الصِّنْفَيْنِ أَنْتَ ؟ " قَالَ : " أَنَا مُؤْمِنٌ " ، قُلْتُ : " صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُعَاذٍ " ، قَالَ : " وَمَالَهُ ؟ " قُلْتُ : كَانَ يَقُولُ : " اتَّقُوا زَلَّةَ الْحَكِيمِ ، وَهَذَا مِنْكَ زَلَّةٌ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ " ، فَقَالَ : " أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ " . اهـ (١)

قلت (على بن شعبان) : والحديث واضح جداً فيه أن ابن مسعود ﷺ رجع عن مذهب الموافاة والمنع من قول أنا مؤمن ، فهو على كل حال وباى حال أخطأ ورجع كما هو واضح فى المُناظرة ، وأقر الصحابى ابن مسعود ﷺ التابعى أبو مُسلم على أنها كانت زلة منه أى فى مذهب الموافاة ، بل واستغفر ابن مسعود فى الحال منها ورجع عنها وقال أنا مؤمن ولم يستثنى اى شيء فى رجوعه ولم يشترط لرجوعه أى شيء

فلا يسع أحد بعد هذا إلا أن يرجع ويتوب من ذلك المذهب الذى رجع عنه ابن مسعود نفسه ، واستغفر الله منه .

وقد شكك بعض أهل العلم فى صحة هذه الرواية وقالوا ان هذا الاسناد فيه ضعف ، والبعض ممن صحح الرواية كالعلامة الالبانى قال عن الاسناد جيد ولكنه حرف مدلولات الرواية عن ما جاء فيها صريحاً ، وبدل المعانى لتتوافق مع مذهبهم فى الاستثناء ، ومن أراد التاكد من ذلك فليراجع شرح الالبانى للحديث فى السلسة الضعيفة وهذا أوان الرد والبيان حتى لا يبقى لجاهل عُذر ولا لُمحب شبهة و لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ

أما من حيث السند :

قالوا : هذه القصة من حيث السند ضعيفة لا تثبت ، لانها معلولة بأكثر من علة توجب ردها :

١ – أحمد بن المعلى الدمشقى سمع من هشام بن عمار بعد الاختلاط

٢ – محمد بن عبد الله بن المهاجر الشعيثى مجهول الحال

٣ – الاضطراب فى السند والمتن ، فقد رويت مرة عن أبى مسلم الخولانى ومرة عن أبى ادريس الخولانى ومرة عن الحارث بن عميرة ، وجاءت الروايات الاخرى بصيغة تختلف عن غيرها

وقد جائت القصة من طريق اخر

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنْ الشَّيْبَانِيِّ ، عَنْ ثَعْلَبَةَ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الرَّسُولُ الَّذِي سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ، قَالَ : " أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : مُؤْمِنِ السَّرِيرَةِ وَمُؤْمِنِ الْعَلَانِيَةِ، وَكَافِرِ السَّرِيرَةِ وَكَافِرِ الْعَلَانِيَةِ ، وَمُؤْمِنِ الْعَلَانِيَةِ كَافِرِ السَّرِيرَةِ ؟ " ، قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، قَالَ : فَأَنْشُدُكَ بِاللَّهِ : " مِنْ أَيِّهِمْ كُنْتَ ؟ " ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ مُؤْمِنُ السَّرِيرَةِ مُؤْمِنُ الْعَلَانِيَةِ ، " أَنَا مُؤْمِنٌ " .

---

(١) مسند الشاميين للطبراني حديث رقم ١٤٢٤ ، ص ٤٦٠ ، ط / مؤسسة الرسالة بيروت

(٢) مصنف ابن ابى شيبة ٢٩٧٤٦ ، تهذيب الاثار للطبرى ٢٦٨٤

وأما طريق الحارث بن عميرة فضعيف فيه شهر بن حوشب وهو ضعيف

وحتى لو لم يصح أى سند مما مضى فقد ثبت رجوع ابن مسعود نفسه عن هذا المذهب والعمل بخلافه

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ " أَنَا مُؤْمِنٌ " . (١)

فقال عبد الله بن مسعود " أنا مؤمن " ولم يستثنى ، بل جزم لنفسه بالايمان ، وهذا اسناد لا غبار عليه ، وهو اسناد يشهد لما قبله من الاسانيد فى رجوع ابن مسعود عن مذهب الموافاة .

ثانياً :- مُخالفة اصحاب النبى لعبدالله بن مسعود ، وقد جاء ذلك صريحاً عن الصحابة ، ونقل ذلك عنهم التابعين

وقول الصحابى فى الشرع حجة بشرطين

١ – أن لا يُخالف نصاً صحيحاً صريحاً من الكتاب والسنة

٢ – أن لا يُخالفه صحابى أخر

فكيف وقد نقلنا مُخالفة هذا المذهب للشرع من قبل ، وقد نقلنا رجوع ابن مسعود نفسه عن هذا المذهب وكذلك سننقل مُخالفة الصحابة له فى هذا المذهب " الموافاة "

أ – الادلة على مُخالفة مذهب ابن مسعود للقران

قال الله ﷻ " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ " النساء ٩٢

والشاهد أن الله أمر بتحرير رقبة مؤمنة ، فكيف لاحد أن يُحدد المؤمن من غير المؤمن ؟ !!

والجواب : ان الله جعل الناس إما مؤمن وإما كافر ، فكل من انتسب للاسلام ظاهراً سماه الله مؤمناً وأطلق الاسم عليه بغير تقييد أو شروط

وقال الله ﷻ " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " التغابن ٢

والشاهد أن الله جعل الناس إما كافر وإما مؤمن ، فليس هناك صنف ثالث ، والايمان درجات تتفاوت الناس فيه وكذلك الكفر تتفاوت الناس فيه

وقال الله ﷻ " يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " البقرة ١٨٣

والشاهد أن الله كلف المؤمنين بالصيام ، فان لم نكن مؤمنين فليس الصيام بفرض علينا ، ولا يقول بهذا إلا جاهل

والامثلة من القران كثيرة ولكن نكتفى بهذا حتى لا نُطيل

---

(١) تهذيب الاثار للطبرى ٢٦٨٥ ، ٢٦٨٧

ب – الادلة على مُخالفة مذهب ابن مسعود لما عليه الانبياء

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام بِسَارَةَ ، فَدَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، فَقِيلَ : دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بِامْرَأَةٍ هِيَ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ، أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، مَنْ هَذِهِ الَّتِي مَعَكَ ؟ قَالَ : أُخْتِي ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : لَا تُكَذِّبِي ، حَدِيثِي فَإِنِّي أَخْبَرْتُهُمْ أَنَّكِ أُخْتِي ، وَاللَّهِ إِنْ عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرُكِ ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَامَ إِلَيْهَا ، فَقَامَتْ تَوَضَّأُ وَتُصَلِّي ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرْجِي إِلَّا عَلَى زَوْجِي ، فَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ الْكَافِرَ ... " الحديث . (١)

ووجه الدلالة والشاهد هنا ان الخليل ابراهيم عليه السلام اثبت ولزوجته لنفسه الايمان بلا استثناء ولا تقييد

فهل سيدنا ابراهيم عليه السلام أخطأ فى هذا وأقره النبى محمد ﷺ على ذلك ، وسكت الله عن هذا الخطأ ؟ !!!

جـــ – الادلة على مُخالفة مذهب ابن مسعود للسنة

أخرج البخارى من حديث معاوية بن الحكم السلمى ، أن النبى قال لجاريته : أَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ . (٢)

ووجه الدلالة والشاهد هنا ان النبى محمد أطلق لها اسم الايمان ولم يُقيده ، ولم يقل مؤمنة ان شاء الله !!!

فهل النبى محمد أخطأ فى ذلك وسكت الله عن خطئه هذا ؟ !!!

د – الادلة على مُخالفة مذهب ابن مسعود لما عليه الصحابة

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ ، سَمِعَ جَعْفَرَ بْنَ عَوْنٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعُمَيْسِ ، أَخْبَرَنَا قَيْسُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ ، قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا ... الحديث . (٣)

والشاهد أن الصحابة وغيرهم كانوا يُلقبون عمر بن الخطاب بـــ " امير المؤمنين " ولم يجد عمر وغيره من الصحابة فى ذلك أى خطأ أو مُخالفة للشرع ، ولم يُقيدوا ذلك بشرط أو تقييد ، فلم يقولوا " امير المؤمنين ان شاء الله " أو " أمير المؤمنين نرجوا " وغير ذلك من هذه السفاهات ، بل كانوا يجزمون بالامر لانه واقع مُتحقق ، ولم يعتبروا ذلك من التزكية للنفس .

وعند البخارى من حديث ابْنِ عُمَرَ قَالَ : بِعْتُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ مَالًا بِالْوَادِي بِمَالٍ لَهُ بِخَيْبَرَ . (٤)

---

(١) البخارى ٣١٣٢

(٢) البخارى ٥٤٠

(٣) البخارى ٤٥

(٤) البخارى ٢١١٦

والشاهد بقاء الاسم بعد عمر بن الخطاب وانتشار ذلك بين الصحابة دون انكار منهم أو تعقب

وقد نقل التابعين الاجماع من الصحابة على ذلك ، والانكار على مذهب ابن مسعود الذى رجع هو عنه كما مضى

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : إِنَّ قِبَلَنَا قَوْمًا نَعُدُّهُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ ، إِنْ قُلْنَا نَحْنُ مُؤْمِنُونَ عَابُوا ذَلِكَ عَلَيْنَا ، قَالَ : فَقَالَ عَطَاءٌ : نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ الْمُؤْمِنُونَ وَكَذَلِكَ أَدْرَكْنَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ يَقُولُونَ . (١)

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنْ الشَّيْبَانِيِّ ، قَالَ : لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْقِلٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ يَعِيبُونَ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ : أَنَا مُؤْمِنٌ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعْقِلٍ : " لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُؤْمِنًا " . (٢)

فهذا هو ما كان عليه الانبياء والصحابة نقلته لكم بالاسانيد الصحيحة الصريحة " المُحكمة "

فهل بعد هذا يبقى لاحد عُذر أو شبهة !!!

---

(١) مصنف ابن ابى شيبة ٢٩٨١٩

(٢) مصنف ابن ابى شيبة ٢٩٧٩٧

المطلب السابع

تناقضات وإلزامات

١ – إلزامات لم ولن يلتزم بها أصحاب المنهج السلفى

الاستثناء على اليقين

اذا سئلت هولاء الذين اخترعوا بدعة الاستثناء فى الايمان أو الاستثناء على اليقين :

هل تُجيزون الاستثناء على اليقين ؟ فجوابهم : نعم واستدلوا بأية « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ »

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وهذا كثير وأشباهه على اليقين ، قال ابن تيمية : ودخل عليه (أى على الامام احمد بن حنبل) شيخ فسأله عن الإيمان فقال له قول وعمل يزيد وينقص فقال له اقول مؤمن إن شاء الله قال نعم فقال له الهم يقولون لي إنك شاك قال بئس ما قالوا ثم خرج فقال ردوه فقال أليس يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال نعم قال هؤلاء يستثنون قال له كيف يا أبا عبد الله قال قل لهم زعمتم أن الإيمان قول وعمل فالقول قد أتيتم به والعمل لم تأتوا به فهذا الاستثناء لهذا العمل قيل له يستثني فى الإيمان قال نعم أقول أنا مؤمن إن شاء الله استثني على اليقين لا على الشك ثم قال قال الله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين فقد اخبر الله تعالى الهم داخلون المسجد الحرام فقد بين أحمد فى كلامه أنه يستثني مع تيقنه " . اهـ (١)

واذا سئلت هولاء : هل يصح الاستثناء على أى يقين ؟ ، أم الهوى له دوره فى تخصيص العام !!

فتراهم يضطربون ويُخصصون ويُقيدون بغير دليل ، ويلزمهم بذلك المذهب المُحدث ما يلى :

ان يجيزوا ان يقول العبد :

الله فى السماء ان شاء الله ، الله قوى ان شاء الله ، الله حى ان شاء الله ، الله قدير ان شاء الله

لان هذا يقين ، والاستثناء على اليقين جائز كما زعموا . !!!

ولكنهم تناقضوا ومنعوا من ذلك فاجازوا أشياء ومنعوا أشياء ، والضابط فى تجويزهم ومنعهم " الهوى "

فهذا يقين وهذا يقين ولكن شتان بين ما يكشف ضعف مذهبهم المُحدث فهذا غير جائز ، وبين ما ينصر مذهبهم !!

٢ – هل الاستثناء فى الايمان خير ؟ ، اذاً لماذا لم يسبقنا اليه الاولون من الانبياء والصحابة إليه ؟ !!

لو سئلت الذين اخترعوا بدعة الاستثناء فى الايمان أو الاستثناء على اليقين :

---

(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٤٥٢

(٢) مصنف ابن ابى شيبة ٢٩٧٩٧

هل الاستثناء فى الايمان خير ومُستحب ؟

فجوابهم : نعم

والسؤال الذى يفرض نفسه : لماذا لم يسبقنا اليه الاولون من الانبياء والصحابة إليه ؟ !!!

لماذا لم يُنقل لنا اسناد واحد جاء فيه عن الانبياء والصحابة قول : " أنا مؤمن ان شاء الله " ؟ !!

أليس الدافع كان موجود عندهم للتلفظ بهذه الجملة ؟!!

أليس هم أولى بكل خير وفضيلة ممن بعدهم ؟ !!

أم أن أحمد بن حنبل وأتباعه حصلوا فضل لم يسبق اليه النبى والصحابة ؟ !!

أليس الله قد رضى وأذن فيما جاء عن النبى واجماع الصحابة ؟ !!

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ !!!

٣ – ما حكم الاستثناء فى الايمان عند من أجازه من أهل العلم (واجب أم مُستحب أم جائز أى " مباح ")

لو سئلت الذين اخترعوا بدعة الاستثناء فى الايمان أو الاستثناء على اليقين :

ما حكم الاستثناء فى الايمان ؟ هل هو واجب ؟ أم مُستحب ؟ أم مباح ؟

فجوابهم : هو الاضطراب فمرة تراهم يوجبونه ومرة يجعلونه مُستحب ومرة يُجيزونه

ولو كان واجباً أو مُستحباً فيلزمهم تخطئة الانبياء والصحابة والاستدراك عليهم

ولو كان جائزاً (أى مباح) فقد جعلوا العبادات عادات وناقضوا اصولهم وقواعدهم

المطلب الثامن والاخير

النجاة فى ما كان عليه النبى والصحابة

ان النجاة والسعادة فى الدارين فى ما قاله وفعله واعتقده النبى محمد وأصحابه ، فمن اراد الفلاح والنجاح فى الدنيا والاخرة فليلزم غرسهم وليمضى على نهجهم فى الاقوال والافعال والاعتقادات

قال شيخ الاسلام ابن تيمية

ومن كان له خبرة بالنظريات والعقليات، وبالعمليات، علم أن مذهب الصحابة دائمًا أرجح من قول من بعدهم ، وأنه لا يبتدع أحد قولاً في الإسلام إلا كان خطأ ، وكان الصواب قد سبق إليه من قبله . اهـــ (١)

فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم ، ولا تغلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله ما لا تعلمون .

فالنبى لم يكن يستثنى الا على الغيب المُستقبلى غير اليقينى ، أما الغيب المُستقبلى اليقينى فكان لا يستثنى فيه أبداً مثل ما أخرجه أحمد فى مسنده قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا ، وَإِمَامًا مُقْسِطًا ، يَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضُ الْمَالُ ، حَتَّى لَا يَقْبَلَهَا أَحَدٌ " (٢)

فكل هذه امور غيبية مُستقبلية ، ومع ذلك لم يُعلق المشيئة عليها لانها امور غيبية مُستقبلية يقينية ، والله سبحانه وتعالى لما أمره أن يُعلق المشيئة فى المُستقبل أوجب ذلك عليه بقوله : " وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ " الكهف ٢٣ ، ٢٤

ولكن المقصود من الاية ليس كل غيب مُستقبلى بل المراد الغيب المُستقبلى غير اليقينى وليس الغيب المُستقبلى اليقينى

فهـــذا هـــو الحـــق مـــا بـــه مـــن خفـــاء فـــدعنى عـــن بنيـــات الطريـــق

ولا يـحل لآحــد استبانت لـه سُنـة عن رسـول الله ﷺ أن يـدعـها لقول أحـد كائناً من كان .

وهذه سُنة تركية لنبيكم ﷺ واصحابه ، والترك فعل كما هو معلوم فى الاصول ، فلا تترددوا ولو لحظة فى الاتباع

قال الله ﷻ (وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا) النور ٥٤ وقال ﷻ (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا) البقرة ١٣٧

وقال رسول الله ﷺ (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) . (٣)

فاثبتوا علي ما كان عليه النبى ﷺ واصحابه فهى سفينة النجاة فأركبوا فيها وأتركوا سفن التحسين والتقبيح العقلى والتقديس والتقليد الاعمى فانها لن تصل وستغرق حتما ولن يُوصلكم الي رضا ربكم والجنة الا طريق نبيكم وهديه .

---

(١) مجموع الفتاوى ٧ / ٤٣٦

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٧٦٢٢

(٣) مسلم ١٧٢١

ألا فسَارِعوا أيها المُخطِئون المُقلدون ، ولتجعَلوا من هذه المبادرةِ نقطةَ انطلاقٍ فى التصحيح والرجوع إلى الحقّ .

فالبدارَ البدارَ والسباق السباق فى اللّحاق بركاب المُبشرين بكل الخير فى الدارين

(فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) الزمر ١٨

اللهم أرنا الحق حق وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه اللهم أمين والحمد لله رب العالمين

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ

وإلى هنا انتهى ما أردتُ القول فيه ، فى هذه المسألة العظيمة التى إبتُلى بها كَثِيرٌ من المسلمين .

ووالله لا يعنينى يستجيب لهذا الحق أحد أو لا يستجيب قال ﷻ " لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ " البقرة ٢٧٢

ولى فى الانبياء سلف قال ﷺ " عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ " . (١)

وأخيراً أُعزى نفسى فأقول :

أنت الجماعة ولو كنت وحدك

شُكرٌ و عِرفَان

أتوجه بالشكر لله أولاً ثم لوالدتى وزوجتى والى كل من أجرى الله على يديه من الفضل لى من المسلمين والى كل من نفعنى الله بعلمه من خلال درس أو كتاب أو نصيحة فان أى طاعة لله ، لا يكون سببها فعل العبد لها وحده ، بل مئات الاسباب التى يقضيها الله بحكمته ورحمته وفضله فجزاهم الله عنى خيراً ، ونفع الله بهم وبنصحهم وتوجيهاتهم لى ، وفتح الله عليهم من العلم والفهم ما يُرضيه ﷻ

واخص بالشكر أخى الشيخ / محمد بن برهام ، رفيق الدرب ، فلطالما راجعنى فى أغلب كتاباتى ولطالما استفدت من استداركاته على ، فجزاه الله خيراً ، وسدد الله خطاه

وقد انتهيت من كتابته فى ١٨ من المحرم ١٤٣٧ هـ

---

(١) البخارى ٥٧٥٢

الفهرس

